جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

التوارق الإنسان والمجال من خلال رحلتي محمد بن عثمان الحشائشي (1853- 1912م)

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: محمود بونطله

الأستاذ المشرف: أ- محمد الحاكم بن عون

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د- موسى بن موسى	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
أ- محمد الحاكم بن عون	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
أ- أحمد بالعجال	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصل اللهم وسلم على معلم البشرية سيدنا محمد.

أهدي هذا العمل إلى والدي رمز العمل ... والصبر.

إلى والدتي أطال الله في عمرها.

إلى إخوتـــــــي وأخواتي.

إلى زوجتي وابنتي آية وإسراء.

إلى كل الأصدقاء والزملاء.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أمدني بالقوة والصبر، وألهمني الثبات لإكمال هذا المشوار فله وافر الشكر والثناء.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل "محمد الحاكم بن عون" الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث رغم انشغالاته فلم يبخل بتوجيه نصائحه وإرشاداته التي كانت عونا لي لإخراجه في صورته هذه، فنسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما لا يفوتني أن أبعث بآيات التقدير والإجلال للأستاذ الكريم "أحمد بالعجال" الذي حفزني لاختيار هذا الموضوع،وأمدني بما أستطاع من مراجع، دون أن أنسى الأستاذ "علي قحمص" الذي عمل على مراجعة هذا البحث لغويا.

والشكر موصول لكل أساتذتي الذين تعاقبوا على تدريسي في الجامعة، وإلى كل من علمني حرفا.

والشكر موصول لكل من ساندني من قريب أو بعيد لإنجاز هذه المذكرة خاصا بالذكر "إياد يونس".

قائمة المختصرات:

الاسم الكامل	المختصر
طبعة	ط
ميلادي	م
هجري	هـ
تقديم	تق
تعريب	تع
تحقيق	تح
مجلد	مج
جزء	ج
دون بلد طبع	د.ب.ط
دون سنة طبع	د.س.ط
صفحة	ص
قبل الميلاد	ق.م
Page	P
Opera citato	Op.cit

مقدمة

شهدت بلاد طرابلس الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي(19م) العديد من الرحلات الأجنبية لرحالة أنجليز وفرنسيين وألمان، وأثناء فترة التنافس الاستعماري كلفت فرنسا – بعد تمكنها من بسط نفوذها على الجزائر وتونس– أحد الرحالة العرب وهو محمد بن عثمان الحشائشي للقيام برحلة للبلاد الصحراوية لدراسة أهلها خاصة التوارق منهم ومعرفة رغباتهم حيال المشاريع التي تنوي فرنسا القيام بها، لذا جاء موضوع بحثي تحت عنوان "التوارق الإنسان والمجال من خلال رحلتي الحشائشي (1853–1912م)".

حيث تم اختياري لمؤلفي الحشائشي اللذين نال الأول منهم "الرحلة الصحراوية" اهتمام الفرنسيين، فهو صدر بلغتهم في حين الكتاب الثاني وهو "جلاء الكرب" الذي عرف به الحشائشي كثيرا لأنه عرف انتشارا بين القراء العرب قبل أن تتم ترجمة الرحلة الصحراوية، لما فيهما من معطيات حول توارق الأزجر والهقار في المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر (19م) وبدايات القرن العشرين الميلاديين (20م)، وهي الفترة التي شهدت التكالب الاستعماري على دراسة حياة الشعوب الإفريقية لبسط نفوذه عليها من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الحقبة عايشها صاحب الرحلة.

ومن خلال ذلك يتولد لدي الإشكال الرئيس لهذا البحث:

- من هو الإنسان التارقي؟ وما مجاله من خلال رحلتي الحشائشي (1853–1912م)؟

وتندرج تحت هذا العنوان الرئيس العديد من الأسئلة الفرعية منها:

- من هو الحشائشي صاحب مؤلفي الرحلة؟
- من هم التوارق المراد دراستهم؟
- ما المجال الذي يشغله التوارق؟
- ما هو موقف التوارق من التطورات السياسية الحاصلة في المنطقة؟

ودفعني لاختيار الموضوع حب التعرف أكثر على هذه القبائل والشعوب التي يبقى تاريخها مجهولا، ومما زادني ترغيبا في الموضوع هو التعرف أكثر على رحلة الحشائشي المثيرة للجدل حول علاقته مع المستعمر الفرنسي، وبعث في هذه الرغبة نصائح وتوجيهات بعض الأساتذة لتناول هذا الموضوع الذي لم يكتب حوله الكثير.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها جديدة فلم تتناولها الدراسات من هذه الزاوية التي انطلقت منها، حيث توجد بعض الدراسات الحديثة التي تناولت التوارق مثل ابراهيم بتقة في رسالته حول مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر، ورسالة حسن مرموري التي تناول فيها هذه القبائل من خلال رسالته التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية، وهذه الرسائل وغيرها تناولت التوارق كل حسب دراسته ومنطلقه.

لهذا فقد ضبطت خطة البحث في مقدمة وثلاث فصول، ففي الفصل الأول تناولت فيه التعريف بمحمد بن عثمان الحشائشي صاحب الرحلة ومؤلَفيه الرحلة الصحراوية وجلاء الكرب، وعن قيمتيهما العلمية والتاريخية، ثم تطرقت بعد ذلك إلى مضمون رحلة الحشائشي، وخصصت الفصل الثاني للخوض في أصل التوارق وتوزعهم الجغرافي ونشاطهم الاقتصادي، أما الفصل الثالث فيتناول الجانب الاجتماعي، وتحليلا للجانب السياسي والأمني، كما تطرقت فيه للجانب الديني والثقافي للتوارق، وخاتمة جاءت كنقاط واستخلاص لأهم النتائج.

أما عن المنهج المتبع في الدراسة فهو المنهج التاريخي والوصفي، فالتاريخي الذي يتبنى الجمع والنقد والبناء لبعض الحوادث التي تحدث عنها المؤلف في رحلتيه، أما الوصفي التحليلي فهو المناسب لوصف السكان والعمران وجغرافيا المنطقة، كما يهدف إلى تحليل المواقف والتوجهات التي وجب دراستها.

ولدراسة الموضوع انطلقت من مؤلَّفي الحشائشي لأنهما أساس هذه الدراسة، الأول الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق وهو ما أطلقت عليه اختصارا اسم "الرحلة

الصحراوية"، والثاني رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895(جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) وهو ما أطلقنا عليه أيضا اختصارا اسم "جلاء الكرب"، ولإثراء الموضوع فقد اعتمدت على بعض المصادر والمراجع التي من أهمها كتاب التوارق عرب الصحراء الكبرى لمحمد سعيد القشاط الذي جاء مؤلفه كدراسة شاملة حول التوارق، وكتاب الصراع التركي- الفرنسي في الصحراء الكبرى لصاحبه عبد الرحمان تشايجي، الذي استفدت منه كثيرا في فهم ذلك التنافس الحاصل حول المنطقة، وكذلك كتابي عبد السلام بوشارب ومحمد السويدي الموسومين بالهقار أمجاد وأنجاد وبدو التوارق بين التغير والثبات على التوالي اللذين تناولا الحياة الاجتماعية للتوارق، ومن الرسائل الاكاديمية نذكر رسالة محمد عمر مروان المعنونة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1261-1331هـ/ 1835-1912م، هذه الدراسة التي كانت من خلال الوثائق المحلية وحملت في ثناياها الهجمات التي تعرضت لها غدامس وقوافلها من طرف التوارق.

وما لمسته في هذه المصادر اعتمادها بدرجة كبيرة على كتابات الرحالة الأجانب، لذلك حملت الكثير من الاختلاف في تراجم الشخصيات والجماعات.

إن من أبرز الصعوبات التي واجهتني قلة الوقت الذي لا يكاد يكفي لدراسة مثل هذه المواضيع التي تتطلب البحث الدؤوب، كذلك قلة المصادر والمراجع العربية التي تتناول التوارق بصفة خاصة، وهذه المراجع حتى وإن وجدت فهي تتناولهم في الفترة المعاصرة من حيث الهوية والمشاكل السياسية، ويمكن القول أن تاريخ التوارق يمكن استخلاصه من بين السطور.

وفي النهاية لا يمكنني إلا أن أقول أن كل عمل إنساني يطاله النقص والنسيان والخطأ، فأكون ممتنا لمن رامه بالنقد والتصحيح لتعم الفائدة.

الفصل الأول: التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف.

أولا–التعريف بمحمد الحشائشي.

ثانيا–التعريف التعريف بمؤلَّفي (الرحلة الصحراوية وجلاء الكرب).

ثالثا– مضمون رحلة محمد بن عثمان الحشائشي.

خلال هذا الفصل سنلقي الضوء على شخصية جابت بلاد طرابلس الغرب وصحاريها تاركة وراءها مؤَلَفين حول تاريخ هذا البلد وأهله، وهما ما سنحاول التعريف بهما، وعن أسباب كتابتهما وقيمتهما العلمية والتاريخية كمرجعين لرحلة المؤلف في هذه الأصقاع والديار.

أولا- التعريف بمحمد الحشائشي:

1- مولده:

ولد محمد بن عثمان بن محمد بن الحاج قاسم الحشائشي الشريف بتونس العاصمة في 26 من رمضان 1269هـ الموافق لـ 12 جوان 1853م ويلقب بالشريف نسبة إلى آل بيت رسول الله (صل الله عليه وسلم) ونشأ في أسرة ذات جاه ونسب عريق، عرفت بالعلم منذ القدم، حيث تلقى والده عثمان الحشائشي العلم على يد أبرز علماء عصره في الأدب والعلوم الدينية[1]، وكان أحد شيوخ الزيتونة وموظفا بالديوان الشرعي[2]، وتوفي عثمان الحشائشي في 13 جانفي 1868م[3]، كما كان جده[4] ذا مكانة ومهابة بين الناس وذلك لزاده العلمي حيث كان على دراية ومعرفة بعلم الفرائض وعلوم الفقه[5]، ونتيجة تمكنه من تلك العلوم فقد كلف بقضاء الفريضة وذلك بتقدير النفقات وتحرير المواريث وذلك في عهد حمودة باشا[6]. **Error! Bookmark not defined.**

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق** ، قدم لها وعلق عليها وراجع ترجمتها محمد المرزوقي، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1988م ، ص 26.

2- محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1982م، ج2، ص 144 .

3- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، نفسه، ص 27 .

4- هو أبو عبد الله الحاج محمد الحشائشي من أعيان تونس ووجهائها وكان ذو ذاكرة قوية تعلم في الزيتونة و فيه تنقل في الخطط العلمية وتوفي 1821م. ينظر: أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف اهل الزمان باخبار تونس وعهد الأمان**، ط1، تح لجنة من وزارة الثقافة، تنفيذ الدار العربية للكتاب، د.ب.ط، 1999م، مج7، ج4، ص 125 .

5- نفسه، ص 125.

6- حمودة باشا الحسيني ولد في ديسمبر 1759م أبوه علي باشا وتولى تربيته فكان حسن السيرة والأخلاق، وكان له دور كبير في توطيد العلاقات مع فرنسا في عهد أبيه، تولى العرش التونسي سنة 1782م وعمل على تصفية منافسيه وأهتم بشؤون العامة، دام حكمه 33 سنة وتوفي في سبتمبر 1813م. ينظر: كمال مايدي: "**علاقات تونس مع دول أوربا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782-1814م** "،(مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

2- نشأته:

تميز محمد الحشائشي منذ صغره بذكائه وقوة ذاكرته، وقدرته على الحفظ، فنال اهتمام ورعاية والده فأدخله الكتّاب لتعليمه القرآن الكريم فحفظه في سن مبكرة على يد الشيخ حسين المعاوي، وبعد ذلك تلقى الروايات على يد الشيخ محمد جراد وعنه تعلم كتابة الشعر ومباديء اللغة العربية وعلومها، كما تكفل هذا الشيخ بتعليمه الأمثال والحكم وأصول التربية كما لقنه متن الأجرومية في النحو[1] وهكذا فقد صقلت موهبته وكبرت وهو لم يتجاوز سن الخامسة عشرة سنة، إذ توفي والده في 18 رمضان 1283ه/13 جانفي 1868م فتكفل به أخوه عزوز الحشائشي وأدخله في سنة 1870م إلى جامع الزيتونة الذي يعتبر في ذلك الوقت منارة علمية[2]، مما ممكنه من تلقي العلوم الدينية والأدبية، واكتساب ثقافة عربية أصيلة، وتتلمذ على مجموعة من فطاحل العلماء والشيوخ المدرسين أهمهم سالم بوحاجب[3]، وعمر بن الشيخ[4]،

الحديث)، تحت إشراف الدكتور عمار بن خروف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي -غرداية، 2011-2012م، ص 36-42.

1- محمد بن عثمان الحشائشي : **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 27. كذلك، عبد الرزاق غميمة وعلي قدوري: **"الحياة الاجتماعية والثقافية في تونس من خلال مؤلف العادات والتقاليد التونسية (الهدية)"**، (مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور محمد السعيد عقيب، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، 2016-2017م، ص 16.

2- MOHAMMED BEN OTSMANE EL- HCHAICHI: **VOYAGE AU PAYS DES SENOUSSIA A TRAVERS LA TRIPOLITAINE ET LES PAYS TOUAREG**, TRADUIT, V. SERRES, LASREM, AUGUSTIN CHALLAMEL, EDITEUR, PARIS, 1903, pp 09, 10.

3- سالم بوحاجب ولد سنة 1827م بالقرب من المنستير بتونس، التحق بجامع الزيتونة ونال إعجاب الشيخ إبراهيم الرياحي ومحمد بيرم الخامس ومحمد بن ملوكة، واشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة كما استعان به خير الدين باشا في عدة وظائف، كما كان عضوا في تأسيس المدرسة الصادقية سنة 1873 م، ينظر: الصادق الزمرلي: **أعلام تونسيون**، تق وتع حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1986م، ص172.

4- ولد عمر بن الشيخ ببنزرت سنة 1822م والتحق بالزيتونة في 1843م منه تخرج وتولى التدريس به وتوفي 1911م، ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، نفسه، ص 38.

ومحمود بلخوجة[1]، ومحمد بيرم الخامس[2]، وأحمد الورتتاني[3]، وأنهى دراسته من هذه المنارة بحصوله على شهادة التطويع[4]، كما اهتم المؤلف باللغات الأجنبية حيث أتقن الفرنسية وتمكن منها كتابة ونطقا، أما اللغة الإيطالية فقد استطاع فهمها من خلال احتكاكه ومحادثته للإيطاليين، هذا ما ميز حياة الحشائشي العلمية أما عن وضع عائلته الاجتماعي والاقتصادي الذي لم توفينا حوله المراجع والمصادر بالكثير ، ولكن يتضح لنا من خلال ظروف أسرته ووفاة أبيه تركا المؤلف في وضعية مادية صعبة، وهذا ما يفسره قبضه مبلغ مالي من شريكه الفرنسي في الرحلة، حيث يؤكد أنه لا يجد ما يتركه لعائلته من بعده[5].

نشأ المؤلف في عصر حدثت فيه الكثير من المتغيرات، وهنا لابد لنا من الرجوع قليلا للوراء إلى الفترة التي سبقت الحماية الفرنسية على تونس سنة 1981م وهي الفترة التي بدأت فيها تونس تحتك بالفكر الأوروبي، ففي سنة 1840م تم إنشاء المكتب العسكري في ناحية باردو، وكان من أهم العلوم التي تدرس العلوم العسكرية والجغرافيا والهندسة والرياضيات واللغة

1- هو محمود بن الشيخ محمد بن أحمد بن الخوجة ولد بتونس 1834م، تلقى تعليمه بجامع الزيتونة على يد كثير من العلماء، وتخرج بشهادة خطة التدريس من الطبقة الثانية، ثم ترقى إلى التدريس من الطبقة الأولى سنة 1862م، وتولى التدريس بجامع يوسف الطابع سنة 1895م وله عديد المؤلفات، ينظر: محمد محفوظ: المرجع السابق ص 262.

2- ولد محمد بيرم الخامس بتونس سنة 1840م تلقى تعليمه بجامع الزيتونة منذ سن مبكرة، وتحصل منه على شهادة التدريس من الطبقة الثانية سنة 1861م وشهادة الطبقة الأولى سنة 1867م، وتولى بعد ذلك إدارة الأوقاف 1874م، كما انضم إلى المدرسة الصادقية، وتولى إدارة شؤون المطبعة الرسمية وإصدار جريدة الرائد التونسي، وتوفي في ديسمبر 1889م، ينظر: الصادق الزمرلي: المرجع السابق، ص 91.

3- أصله من قبيلة ورتتان بالكاف، وكان مدرسا من الطبقة الأولى سنة 1860م، وصار العضد الأيمن لبيرم الخامس أثناء وزارة خير الدين، ثم تولى رأس الأوقاف وكذلك مجلة الرائد والمطبعة الرسمية من 1880-1883م إلى أن عزلته سلطة الحماية من هذا المنصب، توفي سنة 1885م، ينظر: خير الدين التونسي: **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** ، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، ص 253.

4- هي شهادة لختم الدروس بجامع الزيتونة قبل إحداث شهادة التحصيل في العلوم سنة 1933م، ينظر: عبد الرزاق غنيمة وعلي قدوري: المرجع السابق، ص 17.

5- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص ص27، .

الفرنسية، وذلك في عهد أحمد باي[1]، وفي سنة 1876م تم افتتاح المدرسة الصادقية في تونس كأول مدرسة على النمط الحديث، فيها تعلّم الترجمة واللغات الأجنبية التركية، الفرنسية، الانجليزية، الإيطالية والعلوم العصرية[2].

كما أن فرنسا ومنذ احتلالها للجزائر 1830م لم تتوان في التدخل في شؤون البلاد التونسية رغم وجودها تحت الراية العثمانية، كل هذه الظروف جعلت من المؤلف يعيش أشبه ما يكون بثقافتين مختلفتين، الأولى تشبعه بثقافة عربية إسلامية والثانية اكتشافه للفكر الأوروبي الحديث، ولعبت الصحافة التونسية دورا كبيرا في نقل الثقافة الفرنسية إلى القارئ العربي والتونسي بصفة خاصة وهذه الظروف كان لها دور في تكوين شخصية الحشائشي وعلاقته مع سلطات الحماية فيما بعد [3].

3- نشاطه:

أ- الصحافي:

تميز الحشائشي بسيرته الحسنة، كما عرف عنه حب السفر فكان يتنقل بين المدن والقرى والساحل والبادية فيدفعه حبه هذا إلى خوض المغامرة داخل الصحاري والقفار، وكان له شغف واهتمام كبيرين بعادات الناس والفنون الشعبية التي تميز المجتمعات وتمثل صورتها الحقيقية، وهو ما ظهر عليه من خلال كتاباته في الصحف حول الصناعات والتقاليد والحرف والمهن، وكان من الأدباء المرحين ذو الحس الفكاهي والدعابة فهو رجل طيب، واسع الحفظ كثير المطالعة خاصة فيما يتعلق بالرحلات التي دونها من سبقوه من المغاربة وما فيها من

---

[1]- أحمد باي ولد في 21 رمضان 1221هـ/02 ديسمبر 1806م، وتقلد حكم الإيالة التونسية 10 أكتوبر 1837م، راعى شؤون العامة وأمّن أرزاقهم كما كرم العلماء، وتولى رئاسة هذا المكتب الحربي مستشرق إيطالي، وأول مدرس به الشيخ محمود قبادوا، وتخرج منه الكثير من العسكريين، ومن أعمال هذا الباي إنشاء المكتبة الأحمدية سنة 1840م بالمسجد الأعظم الزيتونة. ينظر: أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف اهل الزمان باخبار تونس وعهد الأمان**، ط1، تحقيق لجنة من وزارة الثقافة، تنفيذ الدار العربية للكتاب، 1999م، د.ب.ط، مج2، ج4، ص ص 11، 37، 50.

[2]- عبد الرحمان حميدة: **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ط1، دار الفكر، دمشق-سوريا، 1995، ص 106.

[3]- نفسه، ص 106.

صعوبات ومشقات، ومن هذه الرحلات رحلة ابن جبير وابن بطوطة و التيجاني التونسي والعبدري وابن ناصر والعياشي، هذا الإطلاع حفزه على التجوال وكثرة الأسفار [1].

كل هذه الإمكانيات والمواهب جعلت من الحشائشي يهتم بالتحرير والكتابة خاصة في المواضيع ذات الطابع الاجتماعي والأدبي، وله العديد من القصائد الشعرية وجملة من الطرائف والمقالات المختلفة، حيث أثْرت منتجاته الصحف التونسية التي كانت تصدر في ذلك الوقت، ومن هذه الصحف والمجلات التي اهتمت بكتابات المؤلف نجد مجلة السعادة العظمى[2]وجريدة الزهرة[3] والحاضرة[4]والرائد التونسي[5] .

ب- الموظف:

بعد تحصله على شهادة التطويع من الزيتونة تقدم الحشائشي للتدريس، وكان يطمح من خلال علاقاته الحسنة مع سلطات الحماية الفرنسية وتقديم خدمات لهم أن يمكِّنه ذلك من

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895 م(جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)**، تق وتح علي مصطفى المصراتي، ط1، دار لبنان،بيروت-لبنان، 1965م، ص ص17، 18.

2- صدرت 1904م وكانت تهدف إلى إصلاح الأوضاع والتنويه بالتخلف الذي يسود العالم الإسلامي وساهم في إصدارها الشيخ الخضر بن الحسين، ينظر: مجموعة من الباحثين: **تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر**، ط1، المجمع التونسي للآداب والفنون- بيت الحكمة، تونس، 1993م، ص 17.

3- صدرت في 1890م وأشرف عليها الأستاذ عبد الرحمان الصنادلي، ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 28.

4- جريدة أسبوعية سياسية أدبية، تأسست في 02 أوت 1888م/24ذي العقدة 1305هـ من قبل الشباب التونسي، بإدارة الأستاذ علي بوشوشة خريج المدرسة الصادقية، وبمساهمة رجال الإصلاح أمثال الشيخ سالم بوحاجب والأستاذ البشير صفر والشيخين محمد السنوسي وصالح عباس، لسانها ناطق بالعربية وتنادي بإصلاح الأوضاع المتردية في تونس، ينظر: أحمد القصاب: **تاريخ تونس الحديث والمعاصر(1956-1881)**، تع حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986م، ص 327 ومابعدها.

5- هي جريدة تونسية صدرت 1860م، أشرف عليها الشيخ محمود قبادو، ومحمد بيرم الخامس ومحمد التونسي اهتمت بدعم جهود الكتاب والأدباء التونسيين، واهتمت بنشر الكتب مثل كتاب الحلل السندسية لابن السراج، نشر فيها الحشائشي الكثير من القصائد الشعرية والمقالات، ينظر: مجموعة من الباحثين: **تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص ص 11-14.

الحصول على وظيفة يؤمن بها قوته وقوت من تلزمه كفالته، فتقدم بطلب للحصول على وظيفة مدرس لكن خاب أمله برفض طلبه في المدرسة العلوية [1].

لكن الشيخ محمد بيرم الخامس لم ينس تلميذه الذي عرفه بالحيوية والنشاط، فكان مهتما به يقرأ ما يكتبه في الصحافة، فقام بتعينه كاتبا خاصا له يكتب تقاريره ورسائله وكان ذلك بمثابة إختبار له نال فيه ثقة شيخه ليتوسط له لدى الباي محمد الصادق[2] ليأمر هذا الأخير بتولية الحشائشي عدلا للحصون والقشلات في 23 أفريل 1876م، وهي وظيفة في العدالة يتأتى له من خلالها راتب يصرفه على عياله، وواصل الشيخ بيرم سعيه لدى الباي المذكور ليتم تعين الحشائشي عدلا للجان العشر في كامل التراب التونسي سنة 1877م، وتوقف عمله في العدالة برحلته إلى طرابلس الغرب في 10ماي 1896م، وبعد رجوعه إلى بلده عين متفقدا للمكتبات الزيتونية التابعة للمسجد الأعظم وهي من أخصب المكتبات في العالم الإسلامي، وبذلك وجد في هذه المكتبة ما يشبع ميوله المعرفية في الإطلاع على المصادر والمراجع في الأدب والتاريخ والرحلات، وبقى في هذا الوظيفة حتى أيامه الأخيرة من حياته[3].

توفي محمد بن عثمان الحشائشي في 03 ذي الحجة 1330هـ الموافق 12نوفمبر 1912م [4]، تاركا وراءه العديد من المؤلفات منها من عثر عليها ومنها من لا تزال ضائعة

4- مؤلفاته:

ومن هذه الآثار التي تركها الحشائشي نذكر:

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص33. المدرسة العلوية عبارة عن معهد لتكوين مؤهلين لشغل الوظائف المتوسطة بالإدارة التونسية وكذلك تكوين معلمين تونسيين أكفاء لتدريس اللغة الفرنسية إذ أن الإدارة تفضل الأجنبي على التونسي ولو كانوا يحملون نفس الشهادة. ينظر: أحمد القصاب: المرجع السابق، ص ص 294-303.

2- محمد الصادق بن حسين ولد في 07 فيفري 1813م ورث الحكم عن أخيه في 23 ديسمبر 1859م دامت فترة حكمه 22 سنة وفي عهده وقعت الحماية على تونس 1881م، ينظر: الشيباني بنبلغيت: **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي(1859-1882)**، تق عبد الجليل التميمي، ط1، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، صفاقس، تونس، 1995م، ص 65.

3- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، نفسه، ص ص 33-34.

4- نفسه، ص 34.

1- تاريخ جامع الزيتونة، حققه وقدم له الأستاذ ابن الحاج الجيلالي، ونشره بالمعهد القومي للآثار في تونس، سنة 1973م.

2- ديوان شعر بعنوان رحلة الشتاء أو العهد الوثيق في هناء الصديق، ألفه بمناسبة زواج عند أحد أصدقائه، وفيها انتقل الحشائشي عبر باخرة من العاصمة تونس إلى ميناء سوسة، حررها في 25رجب 1895/1312م وفيها وصف المؤلف جولته ومشاهدها.

3- معرض باريس 1900، ودوّن فيه رحلته إلى معرضها العالمي، وصور فيه ما أدهشه من الصناعات والحرف، ونال إعجابه [1].

4- الدرة النقية في النوايا الصادقة للحكومة الفرنسية، ألفه سنة 1881م عندما اندلعت المقاومة في البلاد التونسية ضد الحماية الفرنسية، وذلك بطلب من سلطات هذه الأخيرة وحاول فيه الكاتب إبراز أهداف فرنسا ونواياها الحسنة تجاه الأهالي لنشر الحضارة، كما ذكر الفائدة التي تعود على البلاد، وطبع هذا الكتاب بباريس سنة 1882م بأمر من وزارة الخارجية الفرنسية.

5- الإعلام بعلوم العرب وصنائع الإسلام، تناول فيه الصناعات والعلوم عند المسلمين وفضل علمائهم القدامى على الحضارة الأوروبية.

6- تاريخ الحكومة التونسية قبل الاحتلال الفرنسي وأحكامها وإدارتها، مسجل بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 4489.

7- الدرة النقية في تهاني الحضرة العلية، مسجل كذلك بدار الكتب الوطنية رقم 18652.

8- كتاب خاص بالعادات والتقاليد التونسية ووسمه بالهدية في عوائد المملكة التونسية استجابة لرغبة الكاتب العام الفرنسي بالحكومة التونسية برنار روي[1]، لحسن ظنه في

---

[1]- يوسف المرعشلي: **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2006م، مج1، ص 1330.

الحشائشي، حتى يمكنهم من فهم العادات والتقاليد التونسية من أجل إقامة علاقات وثيقة معهم[2]، وهذا الكتاب قام بتحقيقه الجيلالي بن يحي، وتكفل بنشره مطبعة الموحدة بتونس سنة 1994م، تعرض في فصوله إلى شرائح المجتمع التونسي من أهل البادية والريف إلى سكان الحضر وطريقة التعليم عندهم، والمناخ والموارد والأوضاع الاقتصادية ، ويرى مؤلفه أنه مفيد للتونسيين قبل غيرهم[3].

9- كتابي الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، وجلاء الكرب عن طرابلس الغرب، وسنتعرض لهما بالدراسة.

ثانيا- التعريف بمؤلَّفي الرحلة الصحراوية وجلاء الكرب:

يتفق جميع الباحثين على أن الرحلة الصحراوية التي قام بها الحشائشي هي رحلة واحدة ولكنه دونها في كتابين مختلفين، ولكل منهما ظروفه الخاصة، فالرحلة الصحراوية الفت بطلب من الفرنسيين، أما جلاء الكرب فقد ألفه بإلحاح من أصدقائه التونسيين[4].

1- كتاب الرحلة الصحراوية:

أ- التعريف به:

العنوان الكامل للكتاب الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، ألفه محمد بن عثمان الحشائشي بعد رحلته إلى طرابلس الغرب في15 ذي العقدة 1314هـ/17 أفريل 1897م، وقد ترجمها إلى الفرنسية فيكتور سير[5]، وذلك بمساعدة محمد الأصرم[1] بحضور

1- ولد برنار روي عام 1845م كان على دراية باللغة العربية والمجتمع التونسي نصِّب كاتبا عاما للحكومة وله دور كبير في إرساء ركائز الحماية الفرنسية بتمكنه من استغلال التونسيين أنفسهم وتوفي 1919م، ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 18.

2- نفسه، ص 19 وما بعدها.

3- عبد الرزاق غميمة وعلي قدوري: المرجع السابق، ص 24.

4- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص ص 7-12.

5- هو مستشرق فرنسي وكان يشغل منصب مراقبا وملحقا مدنيا بالسفارة العامة الفرنسية في ذلك العهد، ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، نفسه، ص 7.

الحشائشي وفي نفس العام، لكن هذه النسخة المترجمة لم تر النور إلا سنة 1903 عندما تم طبعها في باريس، في حين أن النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده باللغة العربية فإنها لم تطبع ولم يتم العثور عليها[2].

وعند حصول الأستاذ محمد المرزوقي[3] على النسخة الفرنسية لهذا الكتاب عمل على ترجمتها إلى العربية بواسطة ولديه وقام بمراجعتها وتصحيحها من الأخطاء الواردة فيها، وإضافة ترجمة لبعض الشخصيات في الهامش، في حين أنه أبقى على فصولها مرتبة وفق ما جاء في النسخة الأصلية.

أما العنوان الأصلي الوارد في النسخة الفرنسية فهو رحلة إلى بلاد السنوسية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق واحتوى على 316 صفحة[4] ولأن الحشائشي في كتابه الثاني جلاء الكرب عن طرابلس الغرب كان دائما يسميها الرحلة الصحراوية فإن مقدم هذا الكتاب محمد المرزوقي اعتمد هذا الاسم، وتم إعداد الكتاب في سنة 1981م، وتم إصداره من قبل الدار التونسية في أوت 1988م.

ب- أهميته:

هو مصدر مهم يؤرخ لفترة زمنية من تاريخ طرابلس الغرب في القرن 19م ومطلع القرن20م، وتزامن ذلك مع نهاية الحكم العثماني و قبيل الاحتلال الإيطالي لها بفترة قصيرة،

1- ولد محمد الأصرم سنة 1858م بتونس أصوله من القيروان درس بالصادقية والزيتونة وسافر في بعثة طلابية إلى فرنسا، تولى التدريس بالمدرسة العلوية وتقلد عدة وظائف فترأس الخلدونية ولتحق بإدارة الفلاحة، توفي 1925م، ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 32.

2- نفسه، ص 21.

3- أديب ومؤرخ تونسي ولد 22 سبتمبر 1916م، التحق بالزيتونة 1930م ومنه نال شهادتي الأهلية ثم التحصيل 1944م، انضم إلى الحزب الدستوري الجديد، نشط في عدة جرائد كالنهضة كما قدم عدة برامج إذاعية رغم اشتغاله بالمعهد الوطني للآثار ثم وزارة الثقافة، فخلف وراءه أكثر من ثلاثين كتابا في الأدب والتاريخ من أشهرها صراع مع الحماية و دماء على الحدود والأدب التونسي، ينظر: **محمد -المرزوقي https://ar.wikipedia.org/wiki/** ، تاريخ الإطلاع 2018/02/05م، الساعة 16.

4- ينظر الملحقين رقم 1 و2 ص ص 97، 98.

حيث كان الصراع على أشده في هذه المرحلة بين فرنسا و إيطاليا حول الصحراء ومناطق النفوذ إلى قلب إفريقيا، لهذا فقد اِهتم بهذه الرحلة الباحثون والدارسون خاصة من المستشرقين[1] الفرنسيين الذين أولوا أهمية كبيرة لهذه الرحلة، وبذلك قد قدم لهم خدمة في هذا المجال فاستغلوا نشاطه وحضوره في مجتمعه لتوسيع نشاطهم الاستعماري، وأكثر من ذلك فإن المؤلف كان يقوم بإنجاز البحوث والدراسات العلمية ويقدمها لموظفي السفارة الفرنسية للاستفادة منها في خدمة مشاريعهم الاستعمارية[2].

يعد هذا الكتاب المصدر الأصلي لرحلة الحشائشي فقد كتبه بعد رجوعه مباشرة أي أنه دوّن المشاهد والوقائع التي رآها قبل يطالها النسيان، وتأتي أخبار هذا الكتاب من يوميات هذه الرحلة دون الرجوع إلى مراجع أخرى، والمؤلف في كتابه الثاني جلاء الكرب يعتمد في كثير من الفصول على ما جاء في كتابه الرحلة الصحراوية، ولو أنها جاءت بأسلوب مختلف بالزيادة أو النقصان في الأرقام والمعلومات وذلك لطول المدة بين الكتابين.

إضافة إلى ذلك فالمؤلِف يعطينا سبب خوضه هذه المغامرة وعلاقته بسلطات الحماية وعن أهدافها، فالكتاب احتوى على معلومات دقيقة حول الإنسان الذي شملته الرحلة من خلال دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فاحتوى الكتاب على معلومات مهمة ودقيقة حول الحياة في صحراء طرابلس الغرب وتطرق من خلالها بالدراسة إلى الطريقة السنوسية[3]

---

[1]– تطلق على كل عالم غربي يبحث بدراسة الشرق وثقافته وتاريخه وأديانه، ويهدف إلى تزويد المنصرين بمعلومات واسعة عن الإسلام وأهله ومحاولة الإشراف على المدارس والجامعات والمعاهد الإسلامية وتوجيهها وإفساد برامجها، ينظر: أحمد عبد الرحيم السايح: **"الإستشراق ومنهج نقده"**، **حولية كلية الشريعة والعلوم الإسلامية**، جامعة قطر، العدد 10، 1992، ص 444

[2]– محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص ص 7،20.

[3]–هي حركة دينية تنسب إلى محمد بن علي السنوسي (1859–1797م)، وأسست أول زاوية سنوسية بمكة عام 1837م ثم انتشرت بالحجاز بعدها غادر الحجاز وحط الرحال بليبيا 1840م ببنغازي أسس زاويته بالجبل الأخضر 1843م، ينظر: عبد الكريم محمود غرايب: **دراسات في تاريخ افريقيا العربية 1918–1957**، ط1، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1960، ص65.

التي يتبعها أغلب سكان تلك المناطق وعلاقتها بالقبائل المنتشرة في ربوع الصحراء، كما تناول بالدراسة مجتمع التوارق من خلال عاداتهم وأحوالهم[1].

2- كتاب جلاء الكرب:

أ- التعريف به:

عنوان الكتاب رحلة الحشائشي إلى ليبيا 1895(جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، أما عنوان الكتاب في نسخته التي حصل عليها محققه الأستاذ علي مصطفى المصراتي[2] في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 3957 تاريخ، ونسخة مكتبة الإسكندرية وهي تحت رقم 2591 ب، فكان جلاء الكرب عن طرابلس الغرب أو النفحات المسكية في أخبار المملكة الطرابلسية، فقد وسم الكتاب بعنوانين وهو مألوف عند قدماء الكتاب والمؤرخين أن يختاروا لكتبهم أكثر من عنوان، أما عن عدد صفحات هذه النسخة فهو 276 صفحة كبيرة وفي آخرها فهرس من11 صفحة، وقد كتبت على الآلة الكاتبة تحت إشراف علامة له دراية بالمخطوطات ومصداقية في النقل وهو حسن حسني عبد الوهاب التونسي[3]، وذلك نقلا عن نسخة بخط الحشائشي، وأضاف في ذلك تعليقا في الصفحة الثانية من النسخة التي أشرف على كتابتها هذا نصه ((يقول مالكه الآن حسن حسني عبد الوهاب عامل المهدية، اشتريت هذه المخطوطة

1- محمد بن عثمان الحشائشي : **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 11.

3- هو أديب ليبي ولد سنة 1926م درس بالأزهر الشريف، وتخرج من كلية أصول الدين سنة 1946، ونال إجازة التدريس مع الشهادة العالمية من كلية اللغة العربية بمصر سنة 1949م، وناضل ضد الاحتلال بتوعية الجماهير للمطالبة بالاستقلال، وبعده نيل الحرية اشتغل بالصحافة فأسس جريدة الشعب التي نددت بوجود القواعد العسكرية الأجنبية وبقايا الاحتلال الإيطالي، وله الكثير من المؤلفات منها أعلام من طرابلس و مؤرخون من ليبيا كما قام بتحقيق بعض الكتب. ينظر: جمعة محمود الزريقي: **تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديما وحديثا**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي- ليبيا، 2003، ص ص 269-271.

3- هو أديب تونسي ولد في 21 جوان 1884م، درس في المدرسة الابتدائية بالمهدية ونال شهادة العلوم الابتدائية بالمدرسة الصادقية 1899م، وهاجر إلى باريس فدرس بها العلوم السياسية، وبعد عودته لبلده شغل موظف في إدارة الفلاحة والتجارة سنة 1905م وعين واليا على المهدية سنة 1928م ثم على الوطن القبلي. من أشهر مؤلفاته كتاب العمر وكتاب ورقات عن الحضارة العربية الإفريقية.ينظر: حسن حسني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1990، ص 20.

الموسومة بجلاء الكرب عن طرابلس الغرب، أو النفحات المسكية في أخبار المملكة الطرابلسية، تأليف صديق الوالد محمد بن عثمان الحشائشي الشريف التونسي، المتوفى خلال 1330هـ.1911م. رحمه الله تعالى، وهذه مسودته الأصلية وبخط يده، اقتنيتها من تركته بعد وفاته...فرسمت بها تحت رقم 184، من آثارها التي بخطوط مؤلفيها...))، ومن هذه الأسطر يتجلى لنا مدى حرصه على سلامة نقل هذه المخطوطة، ولو أنه أورد هنا خطأ إذ يشير إلى أن وفاة الحشائشي كانت 1911م[1]، وهذا وقع إما سهوا من حسن حسني عبد الوهاب أو الكاتب المكلف بالآلة.

أهدى حسن حسني عبد الوهاب هذه النسخة إلى شخصية مصرية وهو الأمير عمر طوسون[2] وهذا الأخير إلى دار الكتب ومكتبة الإسكندرية بتاريخ 26 نوفمبر 1930م وبذلك تكون قد حفظت من الضياع والتلف وأصبحت في متناول الباحثين والدارسين.

كانت هذه الرحلة محل اهتمام الأستاذ علي المصراتي فعمل على تحقيقها وإخراجها للقاريء العربي، و إلقاء الضوء على مؤلف هذه الرحلة من خلال ما كتب عنه في المجلات والجرائد التونسية، وكان ذلك سنة 1965م، واشتمل الكتاب على 272 صفحة ولا يزيد عدد السطور في كل صفحة على خمس وعشرين سطرا [3].

ب- أهميته:

يعود تأليف هذا الكتاب إلى الإصرار من الأصدقاء الأدباء والمؤرخين التونسيين على المؤلف بكتابة رحلته لما عرفوا عنه من فطنة ونباهة، ولحاجتهم إلى أخبار تلك البلاد، فتردد في باديء الأمر بعدة حجج كعدم عثوره على مصادر حول تاريخ هذا القطر تكون سندا

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص ص 9-10.

2- ولد عمر طوسون 1289هـ/1872م بالإسكندرية، وجده محمد علي باشا، درس في سويسرا بها تعلم اللغات الأجنبية كالتركية والفرنسية والإنكليزية ويذكر أن له 14 كتابا بالعربية و4 بالفرنسية في تاريخ مصر وجغرافيتها، توفي بالإسكندرية 1363هـ/1944م. ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي : **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 10.

3- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، نفسه، ص ص 9-11.

لـه فـي تحريـر كتابـة مفيدة عدا مـا كتبـه بعض الرحالـة وبعض الروايات الشفوية، لكن توالي الأسئلة وقلة المراجع حول طرابلس الغرب حفزه لإنجاز عمله هذا، إذ كانت هذه البلاد تتعرض للاحتلال الإيطالي وهو ما تأثر بـه فضمن كتابه فصلا حول هذه الحرب كما أعطى لكتابه عنوانا ثانيا عرف به وهو جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، حيث انتهى من تدوينه قبيل وفاته سنة 1912م، فيعتبر هذا الكتاب وثيقة تاريخية حية حول تاريخ هذه البلاد استمدها المؤلف من عدة مصادر وأضاف إليها مشاهداته وما سمعه من روايات خلال مجالسه، فهو بذلك يعطي لمحة عن أوضاع طرابلس أثناء العدوان [1].

ج- الأخطاء الواردة في هذا الكتاب:

عندما ظن الأستاذ علي مصطفى المصراتي أن جلاء الكرب هو نفسه الرحلة الصحراوية المترجمة بالفرنسية، فيعلق في مقدمة هذا الكتاب على هذه الرحلة مشيرا إلى أنه اهتم بها الباحثون، فقد ترجمه إلى الفرنسية المسيو سير [2].

رغم أننا في أكثر من صفحة من صفحات هذا الكتاب نجد ما يدلنا على أن المحقق تفطن إلى وجود رحلة أخرى غير جلاء الكرب إلا أنه لم يبد لها أهمية أو لم يتمكن من العثور عليها [3].

1- ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1999، ص ص 597، 598.

2- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 12.

3- حيث جاء في تعليق له في ص 130 (يفهم من هذا أن الحشائشي قام برحلة صحراوية أخرى...) وكذلك ورد في تعليق ص 161 (وهنا تأكيد لوجود كتاب آخر هو الرحلة الصحراوية...) ويذكرنا في هامش صفحة 172 بقوله (يقصد المؤلف رحلته الصحراوية وهي على ما يبدو غير هذه)، ومما يدل على أن الأستاذ المحقق لم يول أهمية للكتاب الأول تعليقه في الصفحة 190 (يشير أكثر من مرة ويحيل القارئ إلى رحلته الصحراوية فهل هي موجودة أو ضاعت مع أوراقه التائهة؟، وهذا يدل على أن كتاب الرحلة الصحراوية غير كتابه هذا فليلاحظ...)، ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق.

مما ترتب عن هذا أخطاء في الأرقام التاريخية، وهي تبدأ في الأساس من تاريخ الرحلة حيث جاء في جلاء الكرب أن الحشائشي قام برحلته إلى طرابلس عام 1895م/1313هـ، وهذا غير صحيح لم تتم مقابلة الأشهر الشمسية بالقمرية منذ بداية الرحلة إلى نهايتها فسنة 1313هـ تبتدئ من 24 جوان 1895م وتنتهي في 11 أو 12 جوان 1896، وعن هذا الخطأ نتجت عنه فيما بعد هفوات كثيرة في تواريخ الرحلة وأفقد الكتاب شيئا من أهميته وهذه الأخطاء يمكن إرجاعها بالأساس للحشائشي نفسه الذي حرر كتاب جلاء الكرب بعد فترة طويلة فطال ذاكرته النسيان، أو إلى السيد حسن حسني عبد الوهاب الذي نقلها على الآلة الكاتبة أو من كاتب هذه الآلة، ولم يول الأستاذ المحقق أهمية لمقابلة الأشهر، ولو أنه اطلع أيضا على الرحلة الصحراوية التي يثبت فيها تاريخ خروجه في 10 ماي 1896م الموافق لـ 07 ذو العقدة 1313هـ وتاريخ عودته إلى بلاده تونس 5 فيفري 1897م الموافق لـ 23 رمضان 1314هـ، وهذا التاريخ تثبته مراجع أخرى، وعليه عمد الأستاذ محمد المرزوقي إلى تصحيح هذه الأخطاء التاريخية الواردة في متن كتاب جلاء الكرب وذلك بمقابلة التاريخ الخاطيء بالصواب وذلك أثناء تقديمه لكتاب الرحلة الصحراوية[1].

د- المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه:

بالإضافة إلى اعتماده على ملاحظاته ومشاهداته، فقد اعتمد على مجموعة من كتب التاريخ وخاصة الرحلات التي مرت بطرابلس وقد أشار إليها ومن أهمها.

1- تاريخ الزركشي وله مؤلف هام بعنوان تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، وهو من الكتب المختصة لفترة القرن 15م، وتعرض للمنشآت الدينية والثقافية من مساجد وزوايا وحتى الاقتصادية من صناعات وحرف كما تعرض للوظائف العامة والقضاء والأئمة والفقهاء والأدباء وأحوال العامة في عهد الدولتين[2].

---

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص ص 12-13.

[2]- ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 252.

2- ابن أبي الدينار وكتابه المعروف بـ كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، وفيه تعريف بتونس بمشاهيرها وعلمائها وحكامها وتناول تاريخ لدولة المرابطين والموحدين والحفصين، ثم يعرج على العهد العثماني بتونس وأشهر الدايات والبايات وسيرتهم وأعمالهم[1].

3- تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهو في أربعة أقسام القسم الأول المقدمة وتطرق فيها ابن خلدون إلى الناحية الاجتماعية، والقسم الثاني يتعلق بالعرب وأخبارهم وأجيالهم ودولهم والأمم التي عاصرتهم، وقسم ثالث حول البربر وقبائلهم وتفرعاتها بالمغرب والقسم الرابع وهو الخاتمة التي جاءت على شكل سيرة لابن خلدون [2].

4- تاريخ الوزير السراج المعروف بالحلل السندسية والأخبار التونسية وهو مصدر مهم يغطي تاريخ المغرب وإفريقية ومدينة تونس بشكل خاص والعائلات الحاكمة من عهد الأغالبة إلى العهد الحسيني من خلال تسليط الضوء حول شؤون البلاد والعلماء والعلوم المتداولة[3].

5- مؤلفات الإدريسي وهو رحالة طاف بالأندلس وسافر إلى إنكلترا والمشرق فزار مصر وبلاد الأناضول وتجول بين حواضر المغرب كفاس ومراكش وتلمسان و قسنطينة لذلك يعتبر مؤلفه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق باحتوائه على سبعين خريطة إقليمية من أغنى المصادر الجغرافية في العصور الوسطى من خلال دراسة الخصائص الجغرافية للأرض من مسطحات مائية ويابسة واختلاف الأقاليم حيث اهتم بدراسات المسافات بين البلدان[4].

1- محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمدية، تونس، 1286، ص 304. كذلك، ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 385.

2- نفسه، ص ص 215-216.

3- حفيظة بوتوقوماس: "**الحياة الإجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1117هـ/1705م-1257هـ/1835م**"، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر-2-، 2010-2011، ص11.

4- ناصر الدين سعيدوني: نفسه، ص ص 70.

6- رحلة محمد بيرم الخامس واشتهر بعدة رحلات إلى فرنسا وأوربا سنتي 1875م و1878م والجزائر ورحلته لأداء مناسك الحج 1879م فزار سوريا ولبنان والآستانة العاصمة العثمانية، وطيلة تلك الرحلات والسنين كان منهمكا في تأليف كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، وهو في خمسة أجزاء[1].

7- رحلة محمد بن محمد العبدري المغربي لأداء مناسك الحج سنة 688ه/1289م وفي رحلته هذه انطلاقا من ساحل المغرب الأقصى عبر أراضي تونس وطرابلس إلى مصر مرورا بحواضر المشرق وعند رجوعه مكث بفلسطين وزار الإسكندرية وكانت طريقه عبر البر تحاشيا لركوب البحر ومخاطره، وأهتم خلال سفره بالمواقع الأثرية وعادات المجتمعات وتعريف الشيوخ والفقهاء وبدأ في تدوين رحلته بتلمسان، ونشرت 1968م بالمغرب باسم الرحلة المغربية.

8-كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي حيث اهتم هذا المؤلف بالتجارة حيث فتحت له الطريق لاكتشاف وزيارة العديد من البلدان حيث وصل إلى الخليج والشام وعمان وببغداد امتهن بنسخ الكتب وبيعها وكان دائم الترحال ومكث ثلاث سنوات في مرو منغمسا في مكتباتها يجمع مادته العلمية لهذا الكتاب، وفي سنة 1227م توجه إلى فلسطين ومصر ثم قصد مدينة حلب لينصرف عنها إلى الموصل عام 1228م ليتفرغ لإكمال كتابه وهو كتاب يجمع بين الجغرافيا والتاريخ واللغة والأدب الشعبي[2].

9- رحلة التجاني وهي الرحلة التي قام بها أبو عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني من تونس في 21 نوفمبر 1306م نحو طرابلس ودامت ما يقرب من ثمانية أشهر حدد من خلالها المسالك ومعالم الطريق والمحطات والمدن والجغرافيا والتقاليد دون أن ينسى ذكر العلماء

1- الصادق الزمرلي: المرجع السابق، ص 90 وما بعدها.

2- عبد الرحمان حميدة: المرجع السابق، ص 496.

والأدباء والصلحاء الذين جالسهم أو سمع عنهم فكانت رحلته مثالا عن نمط الحياة في عصره[1].

10- رحلة العياشي وصاحبها هو أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي وكانت رحلته سنة 1074هـ/1663م، وعرفت هذه الرحلة بماء الموائد وهي إلى البقاع المقدسة وفي فحوى الرحلة معطيات هامه حول البيئة الطبيعة من طرق ومدن وثروات إضافة إلى الحياة العلمية والثقافية من العلوم الدينية والعقلية، كما فصّل في الطرق الصوفية وحياة أتباعها في الزوايا والأربطة، والأحوال السياسية وعرضا شاملا للأوضاع الاقتصادية للأقاليم على طول خط الرحلة التي كانت حوصلة لرحلاته الثلاث للحج الأولى 1649م والثانية 1653م والثالثة 1661م، وهذه الرحلة تعطي صورة عن الأحوال المعيشية والصحية و الأمنية وعن الزراعة[2].

11- مؤلفات الشيخ محمد النيفر وتاريخ حسن البيان عما بلغته إفريقيا في الإسلام من السطوة والعمران[3].

3 – أسلوب محمد الحشائشي:

يتجلى أسلوب المؤلف ونمطه من خلال كتاب جلاء الكرب الذي كتبه بخط يده وجمع مادته العلمية بتأن وروية فهو جمع فصوله ونسق مادته العلمية، عكس كتاب الرحلة الصحراوية فهو مترجم من الفرنسية وبالتالي فهو لا يعبر بدرجة كبيرة عن أسلوب الحشائشي بقدر ما يعبر عن أسلوب مترجمه.

فالكاتب لم يتبع الترتيب الزمني الترتيب الذي انتهجته في رحلته أثناء كتابه جلاء الكرب رغم أنه وضع خطة لكتابه في بدايته بذكر ملخص حول ما تضمنه الكتاب، فهو يسرد الأخبار وفق ما جاءت به ذاكرته ولم يسجلها وفق الأحداث اليومية، فهو يحدثنا عن بلد ما في الشمال

1- ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص ص 144، 447.

2- عبد الحميد سعد زغلول وآخرون: **ماء الموائد العياشي.الرحلة ليبيا- طرابلس برقة**، ط1، مركز الدلتا للطباعة، مصر، 1996، ص 30. كذلك، ناصر الدين سعيدوني: نفسه، ص 378.

3- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 30.

ثم ينتقل إلى بلد في الجنوب وبعدها يخوض في شرق البلاد أو غربها ثم عندما يتفكر شيئا ما عن بلد في الشمال يقفز إليه ويشرحه، وهذا يدل على أن الحشائشي لم يرجع إلى مسوداته حول الرحلة، مع أنها طبعت بالفرنسية وربما كان الكاتب يريد أن يميز بين الكتابين، حيث احتوى كتابه الثاني إضافات حول الحرب الإيطالية على ليبيا وهو مالا نجده في كتاب الرحلة الصحراوية[1].

نقله عن مجموعة من الكتب التي أشرنا إليها خاصة فيما يتعلق بتاريخ الفتح الإسلامي لطرابلس الغرب، وكان في ذلك يتبع طريقة القدامى حيث يشير إلى هذه المصادر أحيانا بذكر المؤلف دون مؤلفه فيذكر العبدري أو التجاني أو غيرهما دون أي تعريف، وأحيانا أخرى يذكر الكتاب أو شهرته دون التعرض لصاحبه وهو قلما يجمع بينهما، ويرجعنا إلى الصفحة أو معلومات الكتاب، وهذه النقائص عمل محقق الكتاب على تداركها لكي يسهل للقاريء الرجوع إلى مصدر المعلومة كما أنه يورد الشعر ويستشهد بشعر الآخرين لتقريب المعنى[2].

أما شعر الحشائشي الذي جاء في جلاء الكرب ورحلة الشتاء وما نشر له في الجرائد التونسية كالرائد والحاضرة وغيرهما، فهو من النوع التقليدي الضعيف الذي يكثر صاحبه من التكلف والاستطراد مثلما هو معروف بشعر الفقهاء والمؤدبين والمقلدين[3].

كتابته النثرية فهي كذلك من النوع البسيط الذي يعتمد الكاتب فيه السهولة والبساطة والخلو من التعابير الفنية ويكثر من الاستطرادات الهامشية و يتساهل أحيانا في استعمال المفردات العامية أو القريبة منها دون الاكتراث إلى اختيار الألفاظ والتعابير الملائمة وكأنه يكتب على عجلة من أمره، فهو يحاول الإلمام بكل شيء على حساب لغة النص، وهذا

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 15.

2- نقولا زيادة: **أعلام عرب محدثون من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1994، ص 107.

3- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 32.

الأسلوب كان سائدا في ذلك العصر لدى معظم الكتاب الذين كان الحشائشي أغزرهم كتابة وأكثرهم تهربا من التكلف في المحسنات اللغوية[1].

حكمه المسبق على بعض الأشخاص والقبائل لأتفه الأسباب بصفات مشينة كالسرقة والغدر، وذلك لمجرد أنه سمع عنهم أو لحوادث ربما لم تكن مقصودة، دون أن يدقق ويبحث في صحة هذه الأخبار وتتبع مصداقيتها، كما يظهر ميله لفرنسا ولحضارتها وعدالتها وأنها هي صاحبة الأمن والسلام في تونس والجزائر، وهو أكثر من ذلك يدلي لها بالنصائح والإرشادات اللازمة لأجل السيطرة على هذه المناطق التي زارها من خلال القوة العسكرية، ومنه التوغل إلى بلاد السودان[2].

كما يظهر لنا من خلال الإطلاع على كتابي الرحالة اهتمامه بلغة الأرقام والإحصاء من خلال كشف رواتب بعض الموظفين وأعداد المنازل وكذلك ذكر أعداد السكان لبعض القبائل وكذلك صرف العملات المتداولة والفروقات الحاصلة من منطقة لأخرى[3] .

يتضح من خلال رحلة الحشائشي قدرته على الإلمام بتاريخ البلاد الطرابلسية وتلخيصه وتظهر دقة ملاحظته وإحاطته بالأمور المتنوعة التي مر بها في رحلته، فهو يحاول إعطاء التفاصيل في جميع النواحي في طرق الفلاحة كذلك التجارة والأسواق مع ذكر للمسافات بين المدن رغم هفواته اللغوية الكثيرة التي لو حاسبنا المؤلف عليها لأنقصت الكثير من محتوى الكتاب[4].

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 32.

2- نفسه، ص ص 24-25، 32.

3- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 32، 204.

4- نقولا زيادة: المرجع السابق، ص 111.

ثالثا- مضمون رحلة محمد بن عثمان الحشائشي:

1- أسباب الرحلة:

السبب الرئيسي حسب المؤلف هو شغفه بالرحلات وحب الاستطلاع في الأماكن المجهولة التي يصعب الوصول إليها لمعرفة طبائع الشعوب وأحوالها الاقتصادية، لهذا كان له اهتمام خاص بحكايات الرحلات والاستكشافات التي قام بها الرحالة الأوروبيون إلى الصحراء وبلاد السودان ومعرفة أسباب فشل ونجاح هذه الرحلات ومن خلال هذا يجمع نصائح مفيدة لمن يريد التجارة في تلك الأصقاع(1).

فكان الحشائشي يبدي رغبته واستعداده للقيام برحلة في صحراء طرابلس لمساعدة فرنسا التي تسعى جاهدة لمد نفوذها في إفريقيا، فكان على يقين بأن هذه الرحلات لابد أن يقوم بها رحالة عرب مسلمون لأجل إمدادها بكافة التفاصيل عن السكان في مطالبهم ومخاوفهم فهو يقول (أما المسألة التي تعلقت بها أكثر من غيرها فهي دراسة الطرق الكفيلة بتقريب الشقة بين الفرنسيين والعرب، وقد كانت شغلي الشاغل قبل إحتلال فرنسا لتونس، وهو ما تشهد به مؤلفاتي المكتوبة في تلك الفترة، وكنت كلما تهيأت لي الفرصة لا أتردد بما في مقدوري حتى ايسر هذا التقارب)(2).

في ظل هذه الظروف يلتقي الحشائشي بشخصية فرنسية وهو المركيز دي موريس(3) شجعه وأقترح عليه هذه الرحلة من خلال تمويلها والتكفل بها فالحشائشي لم يكن بالرجل الغني الذي يتحمل هذه المصاريف، لأنه بعد وفاة هذا المركيز ظهرت مشاكل مالية بين عائلته وعائلة الحشائشي، وعن تفاصيل معرفة الحشائشي لهذا المركيز فتعود إلى 29 نوفمبر 1895م،

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 41-42.

2- نفسه، ص 39.

3- هو رجل سياسي وثري ومستكشف من أشهر الأعلام الفرنسيين ولد سنة 1858م، وكان ذا ذكاء وجرأة لتحقيق أهدافه والسعي ورائها وقتل في9 جوان 1896م بمكان يسمى الوطية قرب غدامس. ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، نفسه، ص 40، 44.

عندما تم إلقاء محاضرة كان لها صدى كبير لدى الأهالي حول تقارب الديانتين الإسلامية والمسيحية من طرف القس لوزان[1] هذه المحاضرة تركت الأثر الطيب لدى صاحب الرحلة وإعجابه بهذه الشخصية خاصة حول نظرته للإسلام والمسلمين[2].

وفي نفس الفترة وفي نفس الموضوع تقريبا كان مبرمجا أن يُلقى المركيز دي موريس الذي كانت له علاقة مع الطاهر العجيمي المترجم بالحكومة التونسية الذي كان من أوفى أصدقاء الحشائشي هو الآخر محاضرة يوم 20 مارس 1896م وكان موضوع نقاشها حول سبل التقارب بين الأمتين الفرنسية والعربية، والفائدة المتوخاة من هذا التفاعل، كان الحشائشي من المتحمسين لحضورها مع صديقه الطاهر العجيمي، وفيها تطرق دي موريس إلى الطرق والعلاقات التجارية وإلى القبائل الصحراوية والسودانية كما حملت محاضرته تحريضا على الانكليز الذين يقاتلون المسلمين على ضفاف النيل واستطاع من خلال أسلوبه المتعاطف مع العرب كسب ود الحاضرين[3].

من مضمون هذه المحاضرة اتضح له موقف المركيز المتعاطف مع الإسلام، والقيم النبيلة لهذا الرجل الذي تطورت فيما بعد العلاقة بينهما بخصوص تنظيم الرحلة وضبط مواقيتها، وتم الاتفاق بين الطرفين على الانطلاق في رحلتين ولكن في مسارين مختلفين يمهد من خلالها الطريق للمركيز الفرنسي بالاتصال بعديد الشخصيات ليتمكن من إقناعهم بمشاريعه[4].

كان الهدف الرئيس من هذه الرحلة يرتبط بمشروع كبير يهدف إلى تحويل طريق تجارة القوافل الصحراوية من مناطق النفوذ الإنكليزي إلى مناطق التواجد الفرنسي بتونس والجزائر وحصر نفوذ هذا الأخير ومنعه من الامتداد إلى مناطق وسط إفريقيا وذلك تمهيدا للتوسع

---

[1]– هو شارل لوزان ويلقب بالأب هايسنت ولد 1827م، اشتغل بالوعظ الديني بإحدى كنائس باريس منذ 1865م، وكان ضد الكنيسة البابوية والرهبان، فأسس كنيسة فرنسية معارضة للبابوية بفرنسا غير أن محاولته باءت بالفشل، وتوفي سنة 1912م. ينظر: محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 40.

[2]– محمد محفوظ: المرجع السابق، ص 145.

[3]– محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، نفسه، ص 45.

[4]– محمد ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 596.

الفرنسي في تلك المناطق، من هذه المنطلقات كلف الحشائشي بترتيب لقاء للمركيز مع الزعيم السنوسي محمد المهدي[1]المتواجد بواحة الكفرة لإقناعه بإنشاء زاوية سنوسية بالجنوب التونسي تكون بمثابة محطة للتجارة القوافل وقد راهن دي موريس على نقطتين لإنجاح المشروع، الأولى قبول الطريقة السنوسية إنشاء زاوية بالجنوب التونسي لأن ذلك يمكنها من إقامة علاقات مع تجار السودان مما يسمح لها بالتوسع وإنشاء فروع بهذه البلدان، والثانية كسب موافقة وتعاطف قبائل التوارق لأن هذا المشروع يخدم تجارتهم المتجهة صوب البلاد التونسية[2].

2- الملخص الزماني والمكاني للرحلة:

أخذ الحشائشي في الاستعداد لرحلته، فمن الناحية الإدارية تمكن من الحصول على ترخيص من طرف المقيم العام الفرنسي والكاتب العام للحكومة التونسية بمغادرة البلاد، ومكنه المركيز من الحصول على جواز سفر من لمغادرة البلاد وإذن بتخليه عن وظيفته التي كان يشغلها[3].

كما حصل على مبلغ يغطي مصاريف الرحلة و حاجيات أسرته لأنه لم يكن بالميسور حالا وقد قدر ذلك بـ 3200 فرنك من دي موريس قسمها الرحالة إلى ثلاثة أقساط، فترك منها مبلغ 1000فرنك لعائلته من بعده، و1000 فرنك أخرى لمصاريف الطريق من مأكل ومشرب وثمن كراء وسائل النقل، في حين خصص المبلغ الباقي أي 1200 فرنك لشراء هدايا لرؤساء القبائل والأعيان وشيوخ القبائل، وسلع أخرى يتاجر بها ويغطي بها نشاطه، ومن بعض هذه

[1]- محمد المهدي بن محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية، ولد بالجبل الأخضر قرب الزاوية البيضاء عام 1844م ويعد الشخصية الثانية في الحركة وهو مؤسس زاوية الكفرة وعرفت الطريقة في عهده انتشارا واسعا في قلب إفريقيا حيث تميز بصدقه وإخلاصه ودامت فترة توليه هذه الزاوية 40 سنة. ينظر: سعود دحدي: "**البعد الجهادي المغربي للطريقة السنوسية(1931-1842)**"، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر (أوروبا- مغرب)، تحت إشراف الدكتور إبراهيم مياسي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة ابن يوسف بن خدة ،الجزائر، 2009-2010م، ص 30.

[2]- ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 596.

[3]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 54.

المقتنيات مرايا ومراوح وحقائب وعطور وبعض الملابس الحريرية وغيرها أوصاه بها الطاهر العجيمي لمعرفته بأمور التجارة[1].

بعد التنسيق بين الحاج علي بن بلقاسم الثني أحد تجار وأعيان غدامس ودي موريس انطلقت قافلتهما التي تتكون بالإضافة إليهما ثمانية أشخاص ثلاثة أدلاء طريق ويقومون بحراسة السلع ومترجم وطباخين من الجزائر وخادم من تونس يضاف إليهم صديق المركيز ويدعى علي الزمرلي وهو تونسي بتاريخ 23 ذي العقدة1313هـ/ 06 ماي 1896م نحو صحراء طرابلس، بينما تأخرت رحلة الحشائشي بثلاثة أيام حيث شد الرحال يوم 27 ذي العقدة 1313هـ/ 10 ماي 1896م من تونس على متن الباخرة مرورا بمالطة، لترسو باخرته بميناء طرابلس بتاريخ 16 ماي 1896م، ولاضطراب البحر فقد اضطر للبقاء في هذا الميناء لمدة يومين، ليقلع بعدها ودائما عبر البحر إلى بنغازي التي وصلها في 19 ماي 1896م[2].

حيث بقي في هذه المدينة مدة شهر[3]، يتعرف على تجارتها وحركية أسواقها فرأى أن سكانها لا خبرة لهم بالتجارة فتجار هاته البلدة أكثرهم من اليهود والتونسيين وقليل من طرابلس، وأغلب السلع تأتي من إيطاليا وتونس حيث كانت تباع بأسعار مرتفعة سواء كانت ذات جودة أو رديئة، أما عن صادراتها فهي من القمح والشعير وتشحن إلى أوروبا، وأما اللحوم فتصدر إلى مصر وبلاد الشام، فكانت الخضر رخيصة والمعيشة عندهم ميسورة، والأرض ملك لأهالي البلد أما ما يبعد عن البلد بنحو ستة كيلومترات فهي أراضي شاسعة بدون ملاك والأرض تباع بأسعار كلما بعدت عن المدينة إلى أن تصبح بلا ثمن بعد مسافة السبعين كيلومتر، وقدر سعر الألف هكتار بـ الخمسة آلاف فرنك، وليس لهم في الحرف فاغلب الحرفيين ببنغازي يأتونها من المدن المجاورة، أما سكان بنغازي أغلبهم من العرب أما عن عاداتهم في الملبس فيظهر تأثرهم

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 54.

2- نفسه، ص ص 52-59.

3- محمد محفوظ: المرجع السابق، ص 146.

باللباس التونسي من قمصان وسراويل، وأما شكل العمارة عندهم فهي على النمط العربي، عدا بناءات القناصل الأوروبية فهي تتخذ الهندسة الموجودة في أوروبا[1].

أما برقة فهي على بعد عشرة أميال من بنغازي وهي شاسعة المساحة حيث تمتد إلى الإسكندرية ولها حدود مع فزان وسرت[2].

تخضع مناطق برقة وبنغازي إلى تأثير مناخين مختلفين مناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصحراوي، فهي تتعرض إلى تيارات هوائية مختلفة خاصة على الشريط الساحلي، ويمتاز هذا الإقليم بكثرة تساقط الأمطار على إمتداد الشريط الساحلي في الفترة الممتدة من شهر أكتوبر إلى ماي ولكن بكميات غير منتظمة وتختلف من موسم لآخر، ودرجة الحرارة معتدلة وتبلغ أعلى مستوياتها في شهري جويلية وأوت حيث تفوق $26°$، وتنخفض لتصل إلى $12.5°$ في جانفي [3]، فساهم هذا المناخ في تنوع النشاط الفلاحي.

من أهم القبائل العربية ببرقة التمامة وأولاد سليمان والميابيس والشريدات والهوات والسهب والقذاذفة والعمارة والتمامة ويقول عنهم المؤلف أن أكثرهم لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولغتهم أقرب إلى العربية الفصحى، إلا أنهم يأتون بالشعر الغير موزون[4].

ثم شدّ الرحال باتجاه الجنوب فقصد واحة الكفرة، حيث استقبله المهدي السنوسي، وغادر هذه الواحة يوم 30 جويلية صوب مدينة مرزق التي استراح بها من 05 إلى 10 سبتمبر، ليتجه بعد رحلته في الصحراء نحو غات التي وصلها بعد 13 أو 14 يوم من السير، ولتعرضه لإصابة في ركبته إثر سقوطه من راحلته فإنه لم يمكث بها وغفل راجعا إلى مرزق

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص ص 89،90.

2- نفسه، ص 135.

3- ORIC BATES: **THE EASTERN LIBYNES**, MACMILLAN AND CO. LIMETED ST.MARTN'S STREET, LONDON, 1914, pp 19-20.

4- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، نفسه، ص 136.

فكان بها يوم 06 أكتوبر أين استراح شهرين كاملين من أجل العلاج ثم اتجه شمالا قاصدا طريق العودة، ولا نود الخوض كثيرا في رحلته الصحراوية التي سنتعرض لها لاحقا[1].

وفي طريق الرجوع فقد سلك مسلكا آخر غير طريقه الأول فمن مرزق اتجه شمالا صوب طرابلس مرورا بعدة أماكن فقطع الصحارى برمالها وجبالها، فتوقف بمدينة مسراته وهي تتبع إقليم طرابلس و تبعد عن ساحل البحر بـ 12 كيلومتر، لذلك فالمناخ معتدل وأرضها خصبة تصلح لزراعة القمح والشعير، والتجارة بهذه البلدة نشطة وأسواقها عامرة بالسلع والتجار الوافدين من طرابلس، أما تجار مسراته فهم من اليهود الأغنياء، وزارها أي الحشائشي يوم 12 فيفري 1897م قاصدا مدينة طرابلس، فكان بها يوم 17 فيفري فجال في أسواقها ومساجدها وتعرف على بعض أعيانها وعادات مجتمعها ونعجب له حكمه على أهل هذه المدينة كرهم للتونسيين والجزائريين، ونعتهم بالحسد واغتياب بعضهم البعض، وانتهت رحلته إلى طرابلس الغرب بركوبه البحر يوم 22 فيفري صوب بلده تونس التي وطئتها أقدامه في اليوم الموالي[2].

نخلص في هذا الفصل أن الحشائشي الذي نشأ في بلاد إسلامية تأثر أيما تأثر بالمستعمر الفرنسي وثقافته، فأغوته بعض المطامع ليخوض رحلة لصحراء طرابلس، في مهمة لخدمة الفرنسيين، هذه الرحلة دونها الفرنسيون أولا بالفرنسية نقلا عن الحشائشي، ثم بعد فترة قاربت 15 سنة أعاد الحشائشي كتابة هذه الرحلة حينما كانت تقرع طبول الحرب من طرف إيطاليا لاحتلال هذه البلاد، وبهذا فإن هذين المؤلفين حملا طابعا خاصا لدراسة المنطقة في تلك الحقبة الزمنية في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 الميلاديين، خاصة فيما يخص الصحراء والصراع الحاصل حول منطقة النفوذ للدول الاستعمارية، في ظل الوضع الصعب الذي تعيشه الدولة العثمانية.

---

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص ص 115 – 124.

[2]- نفسه، ص ص 197– 207. ينظر: ملحق رقم 3، ص 99.

الفصل الثاني: المجال البشري والجغرافي والاقتصادي للتوارق.

أولا- أصل التوارق.

ثانيا- المجال الطبيعي.

ثالثا- المجال الاقتصادي.

خلال هذا الفصل نتطرق إلى أصل هذه القبائل وعن الألقاب والتسميات التي أطلقت عليها، وذلك دائما انطلاقا من وجهة نظر المؤلف، ومن خلال هذه الدراسة سوف نحاول ضبط المجال الجغرافي والطبيعي لهذه القبائل وما تحتويه هذه الأقاليم من موارد طبيعية، لندرك خلالها مدى تكيف الإنسان التارقي مع الوسط الذي يعيش فيه، مع تعاقب السنين حيث يتجلى ذلك في النشاط الاقتصادي متمثلا في الزراعة والصناعة والتبادل التجاري.

أولا- المجال البشري والطبيعي للتوارق من خلال مؤلَفي الحشائشي:

1- أصل التوارق:

يختلف الباحثون والمؤرخون حول نسب التوارق هل هم من أصول بربرية؟ أم أنهم من السكان الأصليين للمنطقة؟ أم أنهم نتيجة لهجرات من بلدان أخرى استقر بهم الحال في وسط الصحراء الإفريقية، وذلك بالاعتماد على الكتابات التاريخية التي درست أصولهم.

أ- آراء المؤرخين العرب:

المؤلف يستمد آراءه حول أصولهم من كتابات المؤرخين العرب في العصور الوسطى الذين كان لهم السبق في الكتابة وتأريخ نسب الشعوب التي عمّرت بإفريقيا شمالها وجنوبها، ولهذا نجد أن الحشائشي له رأي ابن خلدون الذي يرجع نسب هذه القبائل إلى الطبقة الثانية من قبيلة صنهاجة وفروعها إذ يقول عنهم (هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها. فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها، وأعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها انتباذا عن العمران، واستئناسا بالانفراد،... وصاروا مابين بلاد البربر والسودان حجزا ...) ،ويتفق جميع محققي النسب أن البربر ينقسمون إلى جذعين كبيرين برنس وماذغيس فيقال لشعوب برنس البرانس ويلقب ماذغيس بالأبتر فيطلق على شعوبه البتر، وصنهاجة هي أحد الفروع البرنسية التي تفرعت في الصحراء وتكاثرت إلى قبائل وعشائر وأشهرهم قبائل لمتونة

ومسوفة أو مسوقة ولمطة وكذالة وناوكا التي تذكر في نسخ أخرى من تاريخ ابن خلدون بتاركا، وكان الحكم فيهم للمتونة[1]، واختلف المؤرخون حول أصل البربر وتسميتهم إلا أن الكثير منهم مجمع حول نسب صنهاجة.

الظاهر أن الملك إفريقش بن قيس بن صيفي الذي غزا المغرب وهو أول من أطلق على سكانها لقب البربر وهو الذي يزعمون أيضا أنه باسمه سميت إفريقيا حيث قال (لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك، وقال: ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر. والبربرة بلسان العرب هي إختلاط الأصوات غير المفهومة ...). ولو أنه يفهم من إشارة ابن خلدون بكلمة " يقال" حول هذه الرواية أنها ليست موثوقة[2].

أما صنهاجة التي ينسب إليها التوارق الملثمون يقول عنها الكلبي (إن صنهاجة وكتامة ليستا من قبائل البربر، وإنما هما من شعوب اليمانية تركهما إفريقش بن صيفي بأفريقية مع من نزل من الحامية. وهذه جماع مذاهب أهل التحقيق في شأنهم)[3].

ومنهم من ينسب البربر بشمال إفريقيا إلى حام بن نوح الذي نزل بأرض مصر وتفرق أبناؤه في أوكار المغرب، وهناك من يرجع أصولهم إلى فلسطين فهم كنعانيون من الشام، كانوا تحت أمر ملكهم جالوت الذي قتله نبي الله داود عليه السلام، ففرت هذه الشعوب صوب مصر التي لم يستقبلهم أقباطها، إلى بلاد المغرب وكانت تحت حكم الروم الإفرنج فتمكن البربر من

---

[1]– عبد الرحمان بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت– لبنان، 2000م، ج6، ص 241 .كذلك، محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 118.

[2]– عبد الرحمان بن خلدون: نفسه، ص 117.

[3]– نفسه، ص 117. كذلك، محمد بن أبي القاسم الرعيني: المصدر السابق، ص101. ويرى لسان الدين الخطيب أنه ليس بين لمتونة التي هي أحد أفخاذ صنهاجة والبربر أية صلة وإنما تجمعهم المجاورة التي بحكمها تأثروا بلغتهم وأصبح بينهم أنساب ومصاهرة، وأن أصولهم تعود إلى اليمن التي خرج منها أحد الملوك التبابعة إثر هزيمته بهذه البلاد فلم يتبع إلا طائفة من حمير، الذين ابتكروا حيلة للخروج من اليمن فتلثموا تشبها بنسائهم واتجهوا صوب الغرب من بلد إلى بلد حيث استقروا بصحراء المغرب وجاوروا البربر فتبربرت لغتهم. ينظر: محمد لسان الدين الخطيب: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ط1، مطبع التقدم الإسلامية، تونس، د.س.ط، ص 7.

هؤلاء القوم وطردوهم إلى جزر البحر المتوسط واستقروا مكانهم إلا أنهم كانوا على عادات العرب يميلون إلى البدو والترحال وعدم الاستقرار وسكنى الجبال والكهوف والصحاري وإتباع مناطق تواجد الكلأ لأنعامهم، ولما رأى الإفرنج منهم ذلك عاهدوهم على حسن الجوار بأن يستقروا هم في المدن والحواضر ويتركوا لهم البادية والمناطق القفار [1].

وبدراسة عادات هذه الشعوب البربرية من الناحية الاجتماعية لا يستبعد أن يكونوا عربا، فقبائل قحطان العربية مستقرة ومتحضرة فهي بذلك تشبه قبائل البرانس البربرية، بينما قبائل البتر فهي على نمط قبائل عدنان في حياة البداوة والترحال بين المراعي واكتساب الماشية والعزلة والابتعاد عن السكن في المدن والحواضر، كما أن اختلاف لهجاتهم يشبه إلى حد ما الاختلاف الحاصل بالجزيرة العربية، وعليه إن صحت هذه المقاربة فالبربر البتر هم عرب مضريون ينتمون إلى قيس عيلان الشمالية، في حين يرجع أصل بعض القبائل المغربية إلى عرب الجنوب من الجزيرة العربية أي من حمير، وأكثر من ذلك فإن شعوب هذا الجيل وملوكهم يتوارثون التفاخر بنسبهم العربي الحميري[2].

كل هذه الآراء تؤيد التقارب في الأصول بين العرب والتوارق بصفة خاصة والبربر بصفة عامة إلا أنها لا تنفي مواقف أخرى مختلفة.

---

[1]- مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، دراسة وتح عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، الرباط- المغرب، 2005، ص ص 195-196. كذلك، أبو عبيد البكري: **المسالك والممالك**، تح وتق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ج1، ص ص 328-329. ومن الآراء القائلة بنسب البربر إلى جالوت ابن حوقل الذي قال في شأنهم (والبربر السكان بالمغرب فقبائل لا يلحق عددهم ولا يوقف على آخرهم لكثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم في البراري وتبددهم في الصحاري وجميعهم من ولد جالوت إلا اليسير منهم ...). ينظر: أبو القاسم بن حوقل النصيبي: **صورة الأرض**، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1996، ص 97.

[2]- موسى لقبال: **"البتر والبرانس والمظهر الإجتماعي لسكان بلاد المغرب قبل الإسلام"**، مجلة الأصالة، عدد 24، مارس- أفريل 1975، ص ص 159-166.

ب- آراء المؤرخين الأوربيين:

هناك من يعتقد أن التوارق هم أحفاد شعب الجارمونت الذي كان كثير التواجد في الصحراء وهو من الجنس الأبيض له نفس سمات التوارق، وهذه القبائل يذكرها مؤرخون كلاسيكيون أمثال هيرودوت، كما تذكرها النصوص الإغريقية والرومانية، والجارمونت هؤلاء هم محل غموض وشك في أصولهم والأماكن التي جاءوا منها، وهل لهم علاقة بالشعوب القادمة من البحر الأحمر أم لهم علاقة بشعب الهكسوس الذي احتل مصر 1700 ق.م[1].

في حين تفيد رواية أخرى أن هذه القبائل هي فرقة من جيش الملك الأسطوري "هرقل"، لما توفي تشتت جيشه الذي كان مشكلا من عدة شعوب، حيث اتجهت إحدى الفرق ذات الأصل الجرماني إلى منطقة الفزان وشيدت مدينة جرمة التي تنسب إليهم، وباحتلال الرومان لهذه الأماكن أطلق عليهم اسم الجارمونت على هذه الشعوب الملثمة، في حين هناك من يراها قبائل أصيلة بالمنطقة[2].

يقول الجغرافي الروماني سترابون "Strabon" الذي عاش في الفترة مابين 66 ق.م و24م في كتابه الجغرافيا حول سكان الصحراء وقبائل الجارمونت (إننا لا نعرف شيئا عن أغلب القبائل، التي تسكن ليبيا،... وعلى أي حال فإنني انقل المعلومات التالية رواية عنهم، يسكن في أقصى جنوب ليبيا الأقوام المسمُّون باسم الإثيوبين، إلى الشمال منهم يسكن

---

[1]- بوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج1، ص 65.

[2]- إبراهيم بتقه: "**مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890- 1920 م)**"،(مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإفريقية (تاريخ وحضارة)، تحت إشراف الدكتور صابر شريف خالد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009- 2010، ص 18. وفي موضع آخر نجد أن قبائل الجارمونت كانت بالشمال الإفريقي وتحالفت مع جيوش القائد القرطاجي الشهير حنبعل في حربه ضد روما، وبعد انتصار هذه الأخيرة بقيت هذه القبائل تزعجها من خلا ل غاراتها وغزواتها المتكررة وكانت تلوذ إلى الصحراء احتماء من جيوش روما، ولكن بمرور الزمن تصالحت روما مع هذه القبائل وجعلت منها جيشها المتحكم في الصحراء في منطقة فزان والتاسيلي والهقار، وما يهمنا هنا أنه أثناء حروب الكر والفر نتج عنه استقرار أسر الجارمونت في أرجاء الصحراء، وأن الفتوحات الإسلامية هي من أجبرتهم على الهجرة. ينظر: بوزياني الدراجي: نفسه، ص 65.

الجرامانت أغلب الجهات وإلى جوارهم "الفاروسي ـ Pharus" و"الزنوج"، وإلى الشمال منهم يعيش "الجاتولي– Gattoli")[1].

كما حاول الكثير من المستكشفين والرحالة الأوروبيين وخاصة تلك البعثات الفرنسية إلى أعماق الصحراء بعد احتلال الجزائر، إعطاء وجهة نظرة مغلوطة حول التوارق بتقريب هذه الشعوب في أصولها وعاداتها من المجتمعات الأوروبية وذلك خدمة لمشاريعهم التوسعية وهذا ما لم ترضه بعض الأقلام[2].

لكن المتفق عليه إرجاع سكان تلك المناطق التي تستوطنها التوارق إلى فروع صنهاجة وهذا يقوله أبو عبيد البكري، ويؤكده الرحالة العربي ابن بطوطة الذي يؤكد استقرار قبائل مسوفة الملثمون بهذه الأماكن، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون حول استقرار قبائل مسوقة ولمتونة وكدالة وشرطة بالصحراء وكانوا من الملثمين تحت حكم المرابطين[3].

وكخاتمة لهذه الآراء فإننا لن ننسى رأي شيوخ وكبار السن من التوارق الذين هم أعلم بحالهم إذ يؤكدون نسبهم إلى العرب وأنهم وفدوا من حمير إلى شمال إفريقيا بعد هلاك سد

---

[1]– إبراهيم العيد بشي: **تاسيلي–ناجر تاريخ الإستقرار البشريّ في المنطقة**، ط1، منشورات الحبر، بني مسوس– الجزائر، 2099، ج3، ص36، يدعم هذا الطرح الأبحاث الأثرية التي كشفت عنها الحفريات التي قامت بها البعثات الأوروبية الفرنسية والإيطالية والبريطانية ومصلحة الآثار الليبية مع بدايات المنتصف الثاني للقرن العشرين وذلك بدراسة المقابر والمدافن الموجودة بوادي الآجال بفزان حيث كانوا سكانها القدامى والمتحكم في طرق تجارة الرقيق والذهب، ينظر: فرج الراشدي: **"عادات الدفن عند الجارامنت وعلاقاتها بعادات الدفن عند شعوب أخرى في شمالي إفريقيا"**، **ليبيا القديمة**، تقرير ودراسات الندوة التي نظمتها اليونسكو في باريس جانفي 1984، المطبعة الكاثوليكية ش م ل، عاريا– لبنان، 1988، ص 87.

[2]– امثال الصحافي الفرنسي كلود موريس روبير Caude Maurice Robert، وهو محرر جريدة صدى الجزائر اليومية الذي تعرض في مؤلفه "ناسك الهجار" لافتراءات هؤلاء الكتاب، التي لم تخل من الاضطرابات و الأساطير البعيدة الحقائق التاريخية، ينظر: المهدي البوعبدلي: **"لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية والحضارية والسياسية"**، **مجلة الأصالة**، عدد 72، أوت 1972، ص 8.

[3]– أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 357. كذلك، ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تق وتح الشيخ محمد عبد المنعم العريان، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت– لبنان، 1987، ج1، ، ص 707. ويذكر شهاب الدين بن فضل الله العمري، أنه في شمال مالي قبائل من البربر البيض وهم بنتصر ونيتغراس ومدوسة ولمتونة، ينظر: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ط1، تح حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي أبو ظبي– الإمارات العربية المتحدة، 2002م، السفر الرابع، ص 110.

مـأرب، فيمـا يؤكـد آخـرون منهم نسبهم الشريف إلـى الرسـول (ص)، وهم يتغنـون بهـذا النسب ويحفظـون شـجرته ويتمسكون بهـا، حتـى إذا سُئِل أحـدهم عن نسبه يتبـاهى بإخراجـه لمخطـوط يثبـت فيـه نسـبه الشـريف، أو لأحـد الصـحابة والخلفـاء الراشـدين، أو إلـى سـلالة عقبـة بـن نافع[1]،ومن ثم تعددت الروايات واختلفت في أصل تسمية هذه القبائل مثلما اختلفت في إرجاع أوصـولهم، وذلـك لاخـتلاف اللهجـات ولتفرق هـذه القبائـل بـين العديـد مـن الـدول وتنـوع القبائـل المجاورة لها.

2- أصل تسميتهم:

يـرى صـاحب جـلاء الكـرب أنـه يطلـق علـيهم التـوارق بالقـاف وفـق مـا ينطقـه أهل مصـر وبـلاد طـرابلس، ولكنـه يـرى أن ابـن خلدون يطلـق اسم التـوارك علـى هذه القبائـل بالكـاف ولـيس بالقـاف، ومرد ذلك أنها لم تتقبل الإسـلام عند دخوله لبلاها فتركته وارتدت عنـه[2]، وهذا الرأي وإن وجد من يوافقه إلا أنه هناك من يرى غير هذا، وأن هذا الاسم له مدلولات وأصول أخرى.

إلا أن هنـاك من يطلـق علـيهم الطـوارق وهـي تحريـف للكلمـة العربيـة تـوارك المـأخوذة مـن الفعل ترك وذلك لتركهم دين الله والإعراض عنـه أو أنهم تركوا المسيحية والمجوسية ودخلوا فـي الإسـلام، ويبقـى الاخـتلاف حاصـل فـي الحـرف الأخيـر فهـو أحيانـا يكتـب بحـرف "ك" وأحيانـا أخرى بحرف "ق"، وهذه الكلمة عندهم تعني " شعب الرمال"[3].

1- محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء الكبرى**، ط2، مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء، د.ب.ط، 1989، ص 23.

2- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 121.

3- عبد الجليل الطاهر: **المجتمع الليبي دراسات اجتماعية وأنتروبولوجية**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 1969، ص 89، وهناك من يرجع هذه التسمية إلى من ينسبهم إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس، أو لأنهم سكنوا الصحراء وطرقهم لها وتوغلهم فيها فسموا طوارق، وكانوا يمارسون مهنتهم المعروفة كادلاء وخبراء في الطرق الصحراوية وذلك لصالح القوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء، فكان يدعى الواحد منهم طرقي وجمعه طوارق، وهذه الرأي قل من يوافقه ويعتمده. ينظر: عمر الأنصاري: **الرجال الزرق الطوارق الأسطورة والواقع**، ط1، دار الساقي، بيروت- لبنان، 2006، ص ص 29-30.

أما إذا أرْجعنا مدلول الاسم إلى المكان فهو يعود إلى وادي "تارجا" وهو خمس مراحل من وادي "درعة" جنوبي مراكش الذي كانت بالقرب منه تقطن قبائل الملثمين، كما أن منطقة الفزان يطلق التوارق عليها إسم "تارجا" وهذه الأماكن كانت تسكنها حسب البكري واليعقوبي قبائل" تورغة" و"تورجة، أما حسن الوزان فيحدد صحراء تارجا في الأهقار وغرب الفزان والعرب هم من أطلق عليهم التوارق لأنهم هم يسمون أنفسهم أهل تارجا أي أهل الفزان[1].

إلا أن التوارق لا يعترفون بهذه الأسماء ويسمون أنفسهم"إمازغن" نسبة إلى جدهم إمازيغ بن حام بن نوح، ومن هذا الاسم تفرعت عدة أسماء فتوارق النيجر يسمون أنفسهم "كلتماجق"، بينما ينطقه توارق مالي "كلتماشق" في حين يسمي طوارق ليبيا والجزائر أنفسهم "كلمتماهق" والاختلاف الوحيد هو في نطق الحرف ما قبل الأخير لهذه الكلمة التي تعني الأحرار [2].

3- موطنهم:

قبائل التوارق كثيرة ومتفرعة تجمعها فروع كبرى وهي توارق الهقار ويتواجدون بمنطقة جبل الهقار وناحيته وتوارق أزجر وايفوغاس يتواجدون بجبال غات وضواحيها، وهؤلاء التوارق يطلق عليهم الشماليون ولهم علاقات تجارية قديمة تمتد إلى تونس والجزائر والمغرب، بينما تشكل قبائل كلوي وماويديرن وعوليمندن بشرقي مالي طوارق الجنوب، أما توارق الشمال كما يحدد مواطنهم الحشائشي فهي بوسط الصحراء وتمتد حسبه (من مرزق وغات ووادي عتبة، والشاطيء ولعوينات، وحتى بحيرة تشاد عبر مملكة برنو...)[3]، ويحدد هذا الموقع في موضع آخر فيقول (واعلم ان ازقر وهقّار هؤلاء المتحدث عنهم وفوغاس ايضا يمتدون من حدود توات الى بلاد غات ومرزق في فلوات من الرمال والجبال قاحلة من الرمل وبينهم اراضي فارغة وقفار هاملة لايسكنونها) ، أي أنه يقطن طوارق الأزقر في إقليم جنوب غدامس في منطقة تاسيلي بين غات التي هي مركزهم الرئيس ومرزق التي تتبع إقليم الفزان، فيما سكن الهقار في

1- أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 857. كذلك، إبراهيم بتقة: المرجع السابق، ص 23.

2- محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص 28.

3- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية** ، المصدر السابق، ص ص 139- 140.

الصحراء الممتدة بين غات وعين صالح، ويضم هذه المناطق ما يشبه الإتحاد القبلي ومناطقهم هذه هي تتمدد وتتقلص نتيجة الحروب أو الترحال[1]، هذا ولم يفصل الحشائشي في أهم المراكز التي يتجمع حولها التوارق وهو ما سنتناوله باختصار.

أ-الفزان:

أحد الواحات الليبية الواقعة في الجنوب وهو نقطة وصل مهمة بين مدن الساحل والصحراء الإفريقية، ذا موقع جغرافي هام، ويقع هذا الإقليم بين دائرتي عرض 24 درجة جنوبا على 29 درجة شمالا، ويمتد بين دائرتي طول 12 درجة غربا إلى 18 درجة شرقا[2]،

وعن حدوده الجغرافية فيقول المؤرخ الليبي أحمد الطاهر الزاوي(إن فزان واحة من واحات طرابلس الجنوبية يحدها من الشمال الجبال السود، ومن الجنوب جبال التبو وحدود السودان، ومن الغرب الطريق الذي يصل بين غدامس وغات، ومن الشرق خط الطول في الدرجة 18...) وتمتد من الشرق إلى الغرب على طول 900 كلم، ومن الشمال إلى الجنوب حولي 800 كلم، أي أن مساحته بهذه الأبعاد تقدر تقريبا بـ 720,000 ألف كلم مربع، ويرتفع هذا الإقليم عن سطح البحر حوالي 500 متر في حين تنخفض بعض الأودية 150 متر[3].

في حين أن الحشائشي يحدد هذا الإقليم بحدود سرت من الجهة الشرقية إلى القاطرون التي تتبع مرزق من الجهة الغربية الجنوبية وهو على امتداد ستة عشر يوما للركب السريع، ويضم هذا الإقليم ما يقرب من 300 مدينة وقرية مبنية من الطين حتى أنه يخشى عليها من سقوط المطر، ومن أهم هذه المدن التي تنتشر في أرجائه سوكنا وسبها وهون وودان إلى الشمال والقاطرون جنوبا وجرمة إلى الغرب وزويلة إلى الشرق، وأهم هذه المدن مدينة مرزق

1- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب** ، المصدر السابق، ص 122.

2- المختار عثمان محمد العفيف السوري: **الأوضاع الإقتصادية في إقليم فزان خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (دراسة تاريخية)**، (مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور إبراهيم مياسي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص 20.

3- الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ط4، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، 2004م، ص 94.

وهي عاصمة هذا الإقليم في ذلك العهد من الوجود العثماني بطرابلس الغرب[1]، التي تهمنا في هذا الموضوع إذ كانت ملآنة بالتوارق أثناء زيارة المؤلف لها.

تبعد مرزق عن طرابلس مسيرة الثلاثين يوما للقوافل و ثلاثة عشر يوما للقوافل القادمة من غات، وهي ذات موقع إستراتيجي حيث تتوسط طريق القوافل القادمة من السودان،وكانت قبل تاريخ 1887م مركزا تجاريا للقوافل القادمة من بلاد السودان ومصر وإقليم توات[2]،الذي تأتي منه القوافل التي تقصد الحج إلى بيت الله الحرام فتمكث بها مدة 25 يوما للاستراحة والبيع والشراء، ويعود انحطاط هذه المدينة من الناحية التجارية إلى حظر تجارة الرقيق من حاكم فزان كما حرر جميع الرقيق بالبلد وذلك سنة 1884م وعندئذ فقدت دورها الأساسي[3].

-تضاريس هذا الإقليم:

إقليم فزان عبارة عن حوض كبير ينقسم إلى حوضين كبيرين شمالي وجنوبي تفصل بينهما هضبة صخرية كبيرة تسمى "حمادة مرزق"، تتخلله عدة مظاهر طبيعة، فيسود هذا

1- فريديريك هورنمان: **الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام 1797**، تع مصطفى محمد جوده، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس- ليبيا، 1968م، ص 85. كذلك، محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب** ، المصدر السابق، ص ص 74،77. خاض أهل فزان وسلاطينهم من أسرة أولاد محمد حروبا مريرة مع ولاة طرابلس العثمانيين وذلك من أجل إخضاع الفزان للحكم العثماني أو إجبارهم على دفع الضرائب والخراج إضافة إلى موقع الفزان المهم وما شجعهم على ذلك هو تلك الحادثة التي أوردها ابن غلبون (لما كانت سنة خمس وثمانون وتسعمائة راسلت خوذ بنت شرومة بن محمد الفاسي، زوج المنتصر صاحب فزان العسكر التركي بمدينة طرابلس أن يقدموا عليها لتملكهم البلد...وسبب ذلك أنها كانت تحب ابن عمها المنتصر بن الناصر بن محمد وكانت له زوجة أخرى من أهل مرزق...فداخلها ما داخل النساء من الغيرة ففعلت ذلك فوجهوا إليها طائفة من الجند...) منذ ذلك الوقت تمكن العثمانيون من أهل فزان واستمرت حملاتهم لها لتأديب أولاد محمد في حال امتنعوا عن أداء الخراج. ينظر: أبو عبد الله محمد بن خليل بن غلبون: **التذكار فيمن ملك طرابلس وكان من الأخيار**، تح أحمد الطاهر الزاوي، ط1، دار المدار الإسلامي، طرابلس- بيروت- لبنان، 2004، ص 175-176.

2- يقع هذا الإقليم في جنوب غرب الصحراء الجزائرية وهو يمثل جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى، فهو بين خطي عرض 26 و30 درجة شمالا وبين خطي طول 1 شرقا و4 درجات شرقا، ويضم أزيد من 350 واحة متناثرة في أرجاءه وتغطي ما يقرب من 2000 ميل مربع، ويقسم إلى منطقة توات (أدرار) ومنطقة القورارة (تيميمون) ومنطقة تيديكلت (عين صالح)، هذه المناطق الثلاث يطلق عليها مجتمعة إقليم توات. ينظر: فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر، 2007م، ص 13.

3- محمد بن عثمان الحشاشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 134. كذلك، محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 82.

الإقليم تلال صغيرة وهي قليلة الارتفاع وتأخذ أشكال مختلفة مخروطية يطلق السكان المحليون على الواحدة منها اسم "القارة" وجمعها "قور"، قد تتجمع على شكل سلاسل مرتبطة أو متفرقة، وهي بقايا هضاب قديمة أزالتها عوامل التعرية، تتخللها الوديان وأكثرها جافة تتوفر على كميات هائلة من المياه الباطنية، وهي ذات اتجاه جنوبي غربي– شمالي شرقي، وحولها تتواجد المراكز العمرانية لهذا الإقليم وهي ثلاث أودية مهمة[1]، إضافة إلى المناطق الرملية وهي تشكل أغلب مساحة القسم الجنوبي من إقليم فزان وهي مساحات شاسعة يطلق عليها "أدهان مرزق" أو "رملة مرزق" نسبة إلى هذه المدينة العريقة ورمالها وهذه المنطقة تلتقي فيها بعض الأودية، كما توجد فيها بعض البحيرات الصغيرة والسباخ، وتتركز البحيرات في وادي الآجال وتقدر نحو 25 بحيرة وهي دائمة المياه، أما السباخ فهي تتواجد في منخفضات الحوض وتتشكل من تربة طينية شديدة الملوحة وطبقة المياه الباطنية فيها قريبة من السطح لذلك فإنه عند تساقط الأمطار تنشأ مستنقعات من المياه تسمى "قلته"[2]، ومنها هذه السباخ السبخة التي شيدت حولها مرزق وهي ما تسبب الأمراض والمناخ الغير صحي حسب رأي المؤلف[3].

---

[1]– وادي الآجال وهو يقع على طول الحافة الجنوبية للحوض الشمالي، وطوله 120 كلم وعرضه يتراوح من 2 إلى 12 كلم، ولاتوجد عيون ماء به إلا أن مياهه الباطنية قريبة من السطح بعمق المترين، ومن الواحات المتواجدة بالإقليم هي الجديد وسمنو وتمنهيت والزيغن،ووادي الشاطيء وهو يجانب الحافة الجنوبية للحمادة الحمراء التي تشكل كحد شمالي لإقليم الفزان، ويبلغ طوله 200 كلم وعرضه بين 10 و20 كلم، وبه الكثير من العيون وبعض البرك والمستنقعات نشأت حولها بعض الواحات والقرى ومن أهم واحاته براك والشب وأكشده، ووادي حكمة ويبدأ من الحمادة التي على الحافة الشرقية لحوض فزان ويمتد من الاتجاه الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ليختفي مثل ما تختفي الكثير من الأودية في رملة مرزق ويعد أحد أفقر أودية فزان من المياه العذبة وتنعدم فيه العيون. ينظر: عبد العزيز طريح شرف: **جغرافية ليبيا**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية–مصر،1971، ص 82 وما بعدها.

[2]– نفسه: ص 82 وما بعدها.

[3]– محمد بن عثمان الحشاشي: **الرحلة الصحراوية** ، المصدر السابق، ص 137.

ب- مدينة غات:

وهي إحدى المناطق الكبرى التي يتواجد بها التوارق وتعتبر مركزا هاما لهم، واختلفت الروايات في أصلها وأصل تسميتها، بين من يرجعها إلى الرومان ومن ينسبها إلى التوارق أنفسهم.

أما عن حدود المدينة وموقعها الجغرافي فتقع غات بالصحراء الوسطى في أقصى الزاوية الجنوبية الغربية من بلاد طرابلس، وتمتد إلى الجنوب والشرق من غدامس بنحو 582 كلم، وعن سبها مسافة 650 كلم إلى الجنوب الغربي منها، ومسافة 380 كلم إلى الجنوب الغربي من أوباري، و20 كلم إلى الشمال من الحدود مع الجزائر، وهي على ارتفاع 787 متر فوق سطح البحر، ويطلق عليها أحيانا اسم غات أو رات في بعض الترجمات الفرنسية[1].

- المظهر العام لتضاريس غات:

عبارة عن حوض أو سهل مغلق لإحاطة الجبال والرمال به، فمن الغرب جبال التاسيلي ومن الشرق بسلسلة جبال الأكاكوس الممتدة شمالا وجنوبا، وهذا الحوض يتخذ شكل مثلث قاعدته في الشمال حيث تحيط بها كثبان رملية تعرف بالأدهان تقع جنوبي الحمادة الحمراء ورأسه في الجنوب حيث يضيق حتى ثلاثين كلم، ووسط هذا الحوض الممتد نجد بعض المرتفعات وهي عبارة عن تلال وهضاب رملية و جبال صغيرة تتخذ أشكالا مخروطية أعلاها

[1]- المختار عثمان محمد العفيف السوري، المرجع السابق، ص ص 131-132. وحول نشأة المدينة نجد أن هنري دو فيري في كتابه طوارق الشمال يعتبرها هي نفسها مدينة الأوبيديوم دو رابسا Oppidum de Rapsa التي ذكرها المؤرخ اللاتيني بالبني الأكبر المولود في سنة 23م، الذي يؤكد أن القائد الروماني كورنيلوس بالبوس أخضعها لحكم الرومان حوالي العام 19 ق.م في حملته الشهيرة على المناطق الخاضعة لبلاد الجرمنت، ودليله في هذا التقارب الحاصل بين الكلمتين رأبسا دو لوبيدوم Oppidum De Rapsa من جهة وغافسا Rhafsa المنحدرة من كلْ غافسا من جهة أخرى، هذه الكلمة الأخيرة تعود إلى قبيلة أمازيغية تسند إليها بعض الروايات الشفهية الفضل في تأسيس مدينة غات الحالية وذلك منذ أربعة أو خمسة قرون فقط، بمساعدة من توارق أحجنين، كل تارات، كل تلاق، إباكامازن، ويرى هنري دو فيري الذي ينقل هذه الروايات أنه لا يمكن التعويل عليها ويرى أن الأمر يتعلق بفرضية أصح وهي ترميم المدينة تحت تسمية نجهل عنها كل شيء. ينظر: HENRIDUVEYRIER: **LES TOUREG DU NORD**,CHALLAMEL ALNE',LIBRAIRE- E'DITETEUR, Paris, p 267.

جبل يطلق عليه بالتارقية الأدنين، وعلى مقربة من جبال الأكاكوس في شرق مجرى وادي مهم وهو وادي تنزروفت، وفي الغرب وعلى سفح التاسيلي وادي وريرات، مما شكل بعض الأراضي الصالحة للزراعة على جانبيها(1).

ج- غدامس:

وهي من أقدم واحات طرابلس الصحراوية التي استمرت فيها الحياة حتى الآن، ومهد الحضارة فيها وتبعد عنها باتجاه الجنوب الغربي بنحو 495 كلم وجنوبي نالوت بنحو 318 كلم ومساحتها نحو 160 هكتار، وحدد موقعها الفلكي على خطي عرض 70, 30 و 20 درجة شمالا وما بين خطي طول 15 و 16, 9 شرقا، ويطلق عليها ردامس وكانت تسمى قديما سيداموس، وهذه المدينة قديمة أسسها البربر ولا يعرف تاريخ ذلك بالتحديد(2).

وعن أهل غدامس يقول المؤلف (وطبائعهم شبيهة بطبائع التوارق يتكلمون بلغة بربرية خاصة بهم مع معرفتهم مبادئ القراءة والكتابة)(3).

سكان هذه المدينة تعود أصولهم إلى البربر، وعموما فإنهم نسبوا إلى الملثمين، ولكنهم ليسوا من التوارق فهم يختلفون عنهم في اللغة ونمط المعيشة، فسكان غدامس يشتغلون الفلاحة والزراعة ما مكنهم من الاستقرار، هذا وأنهم أهل تجارة كبيرة منذ القدم عكس التوارق، مع هذا لا يمكن نفي وجود التوارق أو على الأقل وجود علاقة لهم بهذا البلد، حيث أنه يوجد في غرب المدينة شارع يعرف بشارع مازيغ تشير المصادر إلى أن بنو مازيغ أحرارهم جدهم سيدي يونس أصله من توارق هقار، وهذا الشارع منفصل عن الشوارع الأخرى مما يدل أنه نشأ في فترات متأخرة من بناء المدينة التي تتكون من سبعة شوارع (4)، مع العلم أن المدينة كانت تجاورها

1- غوتلوب آدولف كراوزه: **الدواخل الليبية**، تر عماد الدين غانم، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 1998، ص ص 74-75.

2- الطاهر أحمد الزاوي: **معجم البلدان الليبية**، ط1، مكتبة النور، طرابلس- ليبيا، 1968، ص 242.

3- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 127.

4- محمد عمر مروان: "**الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1261-1331هـ / 1835-1912م (دراسة من خلال الوثائق المحلية)**"، (رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوره في التاريخ الحديث

أحد القبائل التارقية الكبرى التي تمتد من توات حتى غدامس وهم الفوغاس وهذا ما يؤكده الحشائشي[1].

- تضاريس المدينة:

شكلها العام عبارة عن منخفض مفتوح من جهة الغرب، يعرف بحوض غدامس، هذا المنخفض في أصله واد قديم يتكون من مجموعة من الروافد، التي تبدأ في غرب وشمال غرب الحمادة الحمراء، ويبدأ هذا الوادي في منطقة انزرة في الشرق ويمر إلى الشمال من درج، ثم ينتهي في منطقة العرق إلى الغرب من غدامس ببضع الكيلومترات على خط 30 درجة شمالا، ويبلغ متوسط ارتفاع هذا الحوض حوالي 360 متر فوق سطح البحر، [2].

د- الهقار والتاسيلي(الموقع والتضاريس):

هاته المناطق لم يزرها المؤلف ولم يذكر عنها الكثير، تقع هاتين المنطقتين ضمن الجنوب الشرقي من الصحراء الجزائرية التي تبلغ مساحتها 1987600 كلم^2 ، وهذه المساحة الشاسعة بسيطة في تضاريسها تخلو من التعقيدات حيث نجد كتلتين من الجبال فقط هما الهقار والتاسيلي، تحيط بهما عروق[3] رملية متحركة تحتل مساحة كبيرة وسهول تحاتية واسعة تغطيها في الغالب الرمال وأحواض مغلقة وكتلة من الهضاب الصخرية ممثلة في هضبة تادمايت.

والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور عمار بن خروف، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص ص 427، 430 .

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب** ، المصدر السابق، ص 124. وأصل قبيلة الفوغاس عربي حيث ترجع بنسبها الشريف إلى الحسن بن علي- كرم الله وجهه- وهذه الكلمة تعني باللغة التارقية أشعل النار، عُرف عن هذه القبيلة مقاومتها للزحف الفرنسي في الصحراء الجزائرية، وتصدت لعناصر التجسس والتبشير منذ 1845م بكل شجاعة، وتتفرع من هذه القبيلة عدة بطون تنتشر في "كيدال" شمال مالي حيث تتموقع في المناطق الجبلية المعروفة بـ "أدغاغ" جنوب الجزائر، كما تنتشر في ليبيا وخاصة في غدامس. ينظر: إبراهيم العيد بشي: **التاسيلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا**، ط1، منشورات الحبر، بني مسوس- الجزائر، 2009، ج4، ص 80.

[2]- محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 14.

[3]- والعرق عبارة عن سهول مسطحة وممتدة، تغطيها كثبان رملية أشبه ما تكون بأمواج البحر، منها العرق الشرقي الكبير الممتد من ما وراء الحدود التونسية الجزائرية حتى يصل المنخفض الفاصل بين واحة المنيعة وهضبة تادمايت،إضافة إلى

1- الهقار وهو عبارة عن كتلة جبلية في الركن الجنوبي الشرقي، ومعظم هذه الجبال ذات أصول بركانية حيث لا تزال فوهاتها ظاهرة لحد الآن، وهي على أشكال مخروطية، بفعل عوامل النحت والتعرية لتتشكل منها هضاب وسهول تحاتية، وتبلغ أعلى قمة بها قمة "تاهات" 3003 متر وقمة "ايلامان" 2823 متر، وتنحدر من الكتلة الجبلية مجموعة من الأودية[1].

2- منطقة التاسيلي ويحدها من الغرب منطقة أمقيد في إقليم توات لتمتد شرقا حتى الفزان وغات وإن أزاف في الأراضي الليبية، والشمال يحدها العرق الشرقي الكبير ومن الجنوب منطقة وادي عيسو وإن الزوا والحدود النيجرية[2]، وهذه المناطق تتخللها أودية جافة وبعض الانشقاقات مشكلة ما يشبه الكهوف ويسودها بعض الهضاب الصخرية التي كثيرا ما تغطيها طبقة رملية، وعلى أحد منخفضاتها تقع واحة جانت التي تبعد عن غات بنحو 150 كلم وتشكل امتداد لها، حيث مكن هذا التقارب من خلق علاقة وطيدة وشكل سكانها لحمة واحدة ضد محاولات الاحتلال الفرنسي، حيث كانت غات ملجأ ومركز دعم لتوارق جانت أثناء ثورتهم[3].

إن هذه المناطق في الحقيقة ما هي إلا أجزاء باقية من بلاد التوارق المتناثرة في الصحراء الكبرى وتبعد عن بعضها بمئات الأميال، وتقلصت هذه المساحات مع مرور الزمن نتاج أزمات الجفاف وقلة الكلأ فاتجهت هذه القبائل نحو الجنوب حول نهر النيجر وتمبوكتو بمالي وإقليم السافانا المطير بهجرات مؤقتة أو دائمة، وشكل هؤلاء ما يسمى بتوارق الجنوب وتغير نمط الحياة عندهم متأثرين بسكان تلك المناطق وأخذوا يميلون إلى الاستقرار فاهتموا بتربية الأبقار وقل اهتمامهم بالإبل والغنم، ولما كانت الأرض صالحة للزراعة على ضفاف نهر

العرق الكبير وعرق الشيخ وعرق ايجيدي على الحدود مع موريتانيا. ينظر: محمد السويدي: **بدو الطوارق بين الثبات والتغير**، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية- الجزائر، 1986، ص 109.

[1]- أهمها وادي تافاست الذي يربط منطقة الهقار بالنيجر ووادي تامنراست الذي ينبع بالقرب من هذه الواحة ووادي جارات الذي تبدأ منابعه من السفوح الشمالية لجبال أفتيس بهضبة الهقار. ينظر: محمد السويدي: المرجع السابق، ص ص 108- 109.

[2]- إبراهيم العيد بشي: **تاسيلي ناجر الخصائص الجغرافية والبنية الطبيعية**، ط1، منشورات الحبر، بني مسوس- الجزائر، 2008، ج1، ص82.

[3]- محمد سعيد القشاط: **صحراء العرب الكبرى**، ط1، دار الرواد، طرابلس-ليبيا، 1994، ص39.

النيجر وتوفر المياه فقد ساعد ذلك على القيام بنشاط زراعي، وبقيت البقية الباقية في أوطانها الحالية فالتجأت أكثر إلى الجبال القريبة منها لأنها بقيت محتفظة بشيء من الماء على سفوحها كما أن هذه القمم العالية تتلقى بعض قطرات المطر من حين لآخر، لذلك بقيت توارق الشمال متمسكة بعاداتها وتقاليدها في هذه الجبال الحصينة والبعيدة من المؤثرات الخارجية[1].

4-المناخ والنباتات الطبيعية:

أ- المناخ:

مما لا شك فيه أن للمناخ تأثيرا كبيرا على الإنسان ونشاطه فكلما كان المناخ مناسبا ومعتدلا فهو يساعد على الاستقرار وتنوع النشاط البشري، إلا أننا نجد العكس عند شعب التوارق الذي يقطن الصحراء القاحلة الجرداء حيث تقل منابع المياه وتنعدم في كثير من الأحيان مظاهر الحياة، ومن خلال هذا نتعرض للمناخ العام السائد في هذه القفار وطبيعة الغطاء النباتي الطبيعي الذي يوجد فيها.

تقع بلاد التوارق في المنطقة الصحراوية التي تعرف ارتفاعا كبيرا في درجات الحرارة في فصل الصيف لتتجاوز 48^0 درجة في الفزان وواحاتها وذلك لهبوب رياح حارة جنوبية وشرقية، في حين تنخفض في فصل الشتاء إلى مادون الصفر بخمس درجات فتتجمد المياه ويكون مصدرها الرياح الغربية والشمالية التي تهب في هذا الفصل ويبدأ هذا الانخفاض من شهر أكتوبر ليستمر إلى شهر فيفري، ويسجل في هذه المناطق المدى الكبير في درجات الحرارة بين فصلي الشتاء والصيف، وحتى بين النهار والليل لنفس اليوم، وهذه الحرارة لبعدها عن مسطحات المياه، وعدم وجود غطاء نباتي كثيف يخفف من ارتفاع درجات الحرارة، وعدم وجود حواجز طبيعية تكون كاسرة سواء لتلك الرياح الغربية الباردة أو الجنوبية الحارة[2].

---

[1]- محمد سويدي: المرجع السابق، ص 75.

[2]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 138 وما بعدها.

تعرف المناطق الصحراوية جفافا حادا ولا يسقط المطر إلا نادرا وبصفات غير منتظمة، ولنا أن ندرك ذلك عندما يذكر أهل مرزق وغات للمؤلف عدم سقوط الأمطار من الثلاثين والأربعين سنة وهم يستحسنون ذلك لأن بيوتهم من مادة الطين وتشكل الأمطار خطرا عليهم هذا وأنها تفسد أهم محصول لهم المتمثل في التمر، هذا وإن بدا مبالغا فيه، إلا أنه يدل على عدم سقوط الحد الأدنى من الأمطار لارتواء الأرض وجريان الوديان[1]، ويتحكم في سقوط الأمطار الموقع الفلكي وتضاريس سطح الأرض حيث يغطي صحراء طرابلس المناخ المداري القاري أين يشتد الجفاف، حيث لا يتجاوز معدل التساقط السنوي في كثير من الأحيان 0.07 مليمتر في واحة الكفرة، و2.9 مليمتر بهون، و2 مليمتر في مرزق ولا تتجاوز 10 مليمتر في بقية واحات الفزان أثناء المواسم المطيرة، في حين نجد أنها في غات تقارب 6 مليمتر بحكم قربها من جبال التاسيلي من الجهة الغربية وهذه الأرقام تختلف من سنة إلى أخرى[2].

ولا إن كان الجفاف والحرارة سمة المناخ في الصحراء الطرابلسية، فإن منطقة الهقار تعد متنفسا للتوارق حيث تتميز بانخفاض درجة الحرارة وتساقط الأمطار الفجائية في فصل الصيف ابتداء من شهر ماي حتى سبتمبر فتحمل الأودية وتسير المجاري، حيث تسجل ما يقرب من 100 مليمتر في بعض السنوات، وتنخفض في سنوات أخرى مثلما حدث سنة 1910م حينما لم تنزل المطر كليا بالمنطقة، ويبقى هذا التساقط متذبذبا، فسنة 1920م جاءت على غير التوقعات فهطلت الأمطار وفاضت الأودية فجرفت في طريقها ما كان من خيام وأكواخ وماشية، ليلجأ السكان إلى قمم الهقار للحفاظ على حياتهم، وفي هذه السنة بالذات عرفت درجات الحرارة أقصى انخفاض لها إلى ما دون الصفر بسبع درجات، لتبلغ أعلى مستوياتها في

1– محمد بن عثمان الحشاشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 86.

2– يوسف محمد زكري: "**مناخ ليبيا دراسة تطبيقية لأنماط المناخ الفسيولوجي**"، (بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم)، تحت إشراف الأستاذ عنصر علاوة، كلية علوم الأرض، الجغرافيا والتهيئة العمرانية، قسم التهيئة العمرانية، جامعة منتوري– قسنطينة، الجزائر، 2005، ص 371.

شهري جويلية وأوت حيث تتعدى 34^0 درجة، وبما أن هذه المنطقة تقع تحت المناخ المداري فإن فصل الشتاء فيها جاف وبارد[1].

ومثلما تكون الأمطار فجائية فإن المنطقة كثيرا ما تتعرض لسنوات قحط تأتي على الأخضر واليابس، تدفع التوارق للهجرة من مواطنهم باتجاه الجنوب نحو جبال أدرار إفوغاس والنيجر ومحاذاة بلاد السودان، ومن أشد السنوات قسوة على السكان 1910- 1916م، حيث انتشرت بينهم المجاعة والأمراض وأدى الجفاف إلى موت الماشية، وهذه السنوات المريرة سبقتها سنوات أخرى أقل حدة منها في الفترة الممتدة 1897م إلى 1900م[2]، وهي تبدأ مع السنة التي زار فيها الحشائشي مدينة غات القريبة من الهقار وشبه جبالها بجبال أوربا، وهي كما يقول دائمة الثلوج وعيونها غزيرة المياه، وسيولها جارية تغذي نهر ايغرغار دائم الجريان وتكبر به الأسماك لدرجة أن تشابه حجم الخرفان[3].

ب- النباتات الطبيعية:

إن خصائص المناخ الصحراوي الذي سبقت دراسته كان له دور كبير في تحديد نوع الغطاء النباتي وكثافته أو انعدامه في كثير من جهات الصحراء، وعليه فإن النبات الطبيعي في هذه الصحاري تمثل في بعض النباتات والأشجار الشوكية المقاومة للجفاف، إضافة إلى بعض الشجيرات والحشائش التي تتغذى على أطراف الأودية، حيث تكون المياه فيها قريبة من السطح، وتمثل هذه النباتات الغذاء المفضل لإبل الصحراء مثل نبات الطلح والسعدان، وتنبت على حواف الأودية المنحدرة من جبال السوداء حيث تكون المياه قريبة من الطبقة السطحية للأرض، ويسود القحط حتى أنه يمكن قطع مسافات طويلة دون أن يرى أي آثار للأعشاب[4].

1- محمد سويدي: المرجع السابق، ص 111.

2- نفسه، ص 113.

3- محمد بن عثمان الحشاشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 140.

4- نفسه، ص 120.

أما في مناطق العرق المعروفة بالادهان فتوجد نباتات صحراوية قليلة تتكيف وهذا الوسط حيث تشتد الرياح وتتبخر مياه الأمطار بسرعة كما أن نوعية التربة لا تحتفظ بشيء من هذه المياه فتقذ إلى الأعماق، ومنها نبات "الدرين" و"السفون" وهذه النباتات تكون قليلة الأوراق و تتحمل الجفاف كما أن جذورها تنزل للأعماق في أسفل التربة، أما في بعض المرتفعات الجبلية تنمو بعض الأشجار متأثرة بالمناخ المداري كأشجار الآراك الذي يستخدم كسواك وبعض أشجار النخيل الذي ينمو طبيعيا ويسمى "نخيل الدوم" وأشجار تنتج الصمغ وأخرى تسمى "السنط"[1].

ثانيا- الجانب الاقتصادي:

يعد النشاط الاقتصادي أحد الركائز الأساسية التي تتمحور حولها حياة هذه القبائل، فموقعها الاستراتيجي كان له دور مهم في تحديد نوعية هذا النشاط، فالمناخ والتربة كان لهما الدور في الزراعة، وتموقعهم على طريق القوافل التجارية مكنهم من خلق نوع من العلاقة مع هذه القوافل وفرض منطقهم عليها وهو ما كان مصدر رزق وهو ما سنحاول توضيحه، رغم أن المؤلف يؤكد عدم ارتباط التوارق بالأرض وخدمتها، كما أن التجارة لم تشتهر بينهم وإنما تمثل نشاطهم المفضل في كراء الإبل للقوافل التي تجوب الصحراء وحماية هذه القوافل في ترحالها من وإلى بلاد السودان.

ا- الفلاحة:

1- الزراعة:

أ- مصادر المياه:

تعتبر العيون الطبيعية أحد الموارد التي يعتمد عليها سكان الصحراء وذلك لأنها تتدفق طبيعيا ولا تحتاج لمجهود للاستفادة منها، فهي تتدفق على سطح الأرض مختلفة في قوتها من

1- عبد العزيز طريح شرف، المرجع السابق، ص ص 137-138. وللإطلاع أكثر على أنواع الأعشاب والأشجار التي تنبت بالصحراء. ينظر: محمد سعيد القشاط: **صحراء العرب الكبرى**، المرجع السابق، ص ص 50-63.

عين لأخرى، ومنشأ هذه العيون هو ذلك التلاقي بين طبقات من الصخور الرملية التي تكون مسامية ونفوذة مع طبقة من الطين غير مسامية، وهذا ما يسمح بحصر وتخزين كميات من المياه، وهذا التركيب الجيولوجي المتميز ينتشر في مناطق متفرقة من واحات الفزان [1].

كما تتوفر منطقة توارق الهقار على موارد مائية هائلة مكنت السكان البدو من توفير المياه للماشية أغلب فصول السنة، ويمكن تقسيمها إلى مناطق حسب جغرافية المنطقة فمن الناحية الشمالية للمنطقة توجد عين صالح وهي منطقة جد غنية بمياهها الجوفية التي يسهل الحصول عليها لقربها من السطح بعمق يتراوح مابين المتر الواحد إلى 15 متر وقدر الخبراء سمك هذه الطبقة المائية التي تشبه الخزان بحوالي 2 متر، فابتكر سكان هذه المنطقة وسكان توات عموما نظام ما يسمى "الفقارات"[2] بدل الآبار التقليدية، مثلما يعرف بالمنطقة منبعين طبيعيين مياههما قليلة الملوحة وهما منبعا "عين الكحلة" ومنبع "تامنغيدة"، وفي منطقة جبال الهقار يمكن العثور على الماء في قيعان الأودية بحفر آبار على عمق 3 أمتار وأكثر، ومعظم هذه الأودية تقع إلى الشرق على سفوح الجبال حيث المياه العذبة، ومنها منبع طاهيورت شرقي مدينة تمنراست حاليا بـ 15 كلم ومنبع "ان طماكسة" ومنبع "ان اربيب" و"ان أحاسيه" وغيرها[3].

---

[1]– فوادي الشاطيء يعرف أكبر عدد من هذه العيون حيث قدرت بنحو 277 عينا من مجموع 387عين بفزان، في حين نجد 88 عينا ماء في منطقة غات النصيب الأكبر منها في العوينات بـ 56 عينا و12 في غات و3 في قرية تونين وهي موزعة على عدة قرى وتسقي مساحات معتبرة من المزارع بعد صرفها في سواقي. ينظر: عبد العزيز طريح شرف: المرجع السابق، ص 193-194.

[2]– الفقارة وهي نتيجة قرب الماء من سطح الأرض وللحصول عليه تحفر قنوات أشبه بالأنفاق تحت سطح الأرض تكون بعمق يصل حتى 40 قدما فتتجمع فيها المياه نتيجة نفاذية التربة أي وفق الخاصية الشعرية، وتقام لها فتحات على سطح الأرض لتهويتها ولأجل صيانتها من الردم بعد الرياح وتوسيعها ويكون بين الفتحة والأخرى 25 أمتار، إن هذه القنوات يراعى في إنجازها دراسة مستوى سطح الأرض حيث تأخذ في الانحدار من الأعلى للأسفل لكي يسهل جريان الماء حتى يصل إلى سطح الأرض ليجمع في حوض ثم يصرف في سواقي للحقول والمزارع. ينظر: محمد الصالح حوتية: **توات والأزواد**، ط1، دار الكتاب العربي، القبة –الجزائر، 2007، ج1، ص 90.

[1]– عبد السلام بوشارب: **الهقار أمجاد وأنجاد**، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، روبية–الجزائر،1995،ص ص 40-45.

أما الآبار فهي كثيرة في منطقة غات وهي إحدى المصادر الأساسية للحصول على المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض، وفي العادة يتم استخراجها بواسطة الإنسان، وقد تم إحصاء أكثر من 87 بئر بغات دون تلك الآبار الجافة أو طالتها الرمال ولم تعد صالحة للاستعمال، وهذه الآبار تحمل أسماء شخصيات وأعيان وشيوخ فهي ملكيات خاصة أو تسخر لعابري السبيل أي أنها وقف للطريق، كما تستعمل لسقي أشجار النخيل التي تعتبر النشاط الفلاحي السائد بغات والمظهر العام لها فإن عُدّ بغدامس 63000 شجرة نخيل فإنها بغات تفوق هذا العدد(1).

ب- النشاط الفلاحي:

لم يهتم المؤلف في كتابيه بالنشاط الفلاحي عند التوارق بل ونفى عنهم هذا النشاط، وهو ما لم تتحدث عنه أيضا الكثير من المصادر، إلا أن التوارق وبعد سنة 1905م أين تمكن الاستعمار الفرنسي من الهيمنة على الهقار خصوصا والصحراء الجزائرية عموما، فمنذ ذلك التاريخ اتجهت قبائل التوارق للاهتمام بالزراعة بعدما قطع الاحتلال عنهم الكثير من مصادر الرزق، إذ كان التوارق يرون في زراعة الأرض أمرا مشينا فقد تمكن سلطان الهقار من جلب اليد العاملة من السودان، وأوجد بذلك طبقة جديدة في المجتمع أطلق عليها باللهجة المحلية "طبقة الأزغانن" كما تسمى فئة الحرطانيين في بلاد توات، هذه الطبقة كان لها الدور البارز في تنمية الفلاحة من جهة كما كان لها الدور في إيجاد نوع من العلاقة بين التوارق البدو الرحل وزراعة الأرض هذه العلاقة التي لم تكن موجودة من قبل، وبنيت العلاقة بين التارقي صاحب الأرض والعامل على ثلاثة أشكال(2).

1- غوتلوب آدولف كراوزه: المصدر السابق، ص ص 116-117.

2- أولا نظام الخماسة وفي هذه الحالة يتحصل العامل من طبقة الأزغانن على خمس الإنتاج الذي يكون في غالبيته من القمح والشعير، في حين أن صاحب الأرض من التوارق يتحصل على أربعة أخماس المنتوج مقابل تكفله التام بكافة المصاريف من شراء البذور والتجهيزات وتوفير المياه وحتى مأكل ومشرب العامل الذي يطالب فقط بمجهوده البدني في خدمة الأرض من حرث وزرع والقيام بسقي هذه المزروعات ويسمى هذا الاتفاق عند التوارق بـ "التاس سمونت"، ثانيا نظام الثلث وفي هذه المرة

2- الرعي:

تعتبر الإبل الثروة الحيوانية الأولى عند التوارق فهم يولونها عناية خاصة وتأتي بعدها الغنم، فهم في ترحال مستمر يمتد لفترات طويلة تقطع خلالها عدة أميال خاصة سنوات الجفاف، إلا أنهم في فترة سقوط الأمطار يكون الموسم جيدا يقل ترحالهم للأماكن البعيدة، وأثناء قيام الرجال بالرعي خارج بلادهم التي يغادرونها إلى القرب من تمسنة الواقعة شمال غرب النيجر ذات المراعي الخضرة فترسل النوق إليها فهي لا تتحمل الجوع، ويبقى النساء والأطفال والشيوخ والخدم في الخيام المنصوبة في الوطن الأصلي إلى جانب قطعان الماعز[1].

مناطق الرعي عند قبائل التوارق مقسمة بينهم فلا يحق لقبيلة أن ترعى في المنطقة المخصصة للقبيلة المجاورة ولا حتى المرور فوق هذه الملكية وكذلك استعمال الماء لسقي القطعان إلا بإذن من شيخ هذه القبيلة، وعند السماح لقبيلة ما بالرعي فإنه يقدم لشيخ القبيلة المانحة شاة أو أثنين كمبلغ رمزي اعترافا بالجميل، هذا النشاط ورغم حيويته إلا أن الحشائشي لم يعط لنا نظرة مفصلة عن هذا النشاط[2].

تعد المهارى وهي أحد أصناف الإبل أعزّ ما يملكه التارقي فهم يتباهون بها، وتمتاز هذه الإبل بسرعتها وخفتها حتى أنها تقطع مسافة 100 كلم أو أكثر في اليوم وسرعتها تفوق الثلاث مرات الإبل العادية، والأنثى ما لم تلد فهي أسرع من الذكور وهذا النوع يركبه النبلاء من التوارق، وتتميز بجمال منظرها وتناسق أعضائها إضافة إلى طولها ودقة أطرافها، ويفضل

يتم تقاسم الخسائر أثناء زراعة بين التارقي والعامل الحرطاني، الذي تكون حصته الثلث الغلة ويتحصل شريكه صاحب الأرض على الثلثين ويطلق على هذا النظام اسم "التاس كرادات" بلغة التوارق، ثالثا نظام المناصفة وهي الحالة التي يكون فيها التارقي بعيدا عن الأرض لاشتغاله بالرعي أو أنه لا يملك المال لتحمل كل نفقات الأرض فيترك أرضه لهذا العامل ليتحمل كامل التكاليف عكس الحالة الأولى في حين أن التارقي لا يترتب عليه أي شيء، وفي هذه الحالة يتم اقتسام المحصول بالنصف بين الشريكين ويسمى هذا النظام "التاس سناست"، ينظر: محمد السويدي: المرجع السابق، ص 87.

[1]- نفسه، ص 83.

[2]- نفسه، ص 80.

التوارق هذا النوع لتحمله العطش والجوع كما أنها صبورة فتتحمل الوعر من الطريق وطول المسافات، ولذلك وجدوا فيها بديلا عن الخيول التي لا توجد بينهم إلا القليل منها[1].

II- التجارة وواقعها في بلاد التوارق:

للموقع والإمكانيات دور هام في التجارة من حيث توفر البيع والشراء والتبادل وكذلك توفر المواصلات والطرقات والأمن والمراكز التجارية التي تتم فيها هذه العمليات، ومن خلال موقع التوارق يتضح لنا قيمة بلادهم التي تقع بشكل أفقي بالنسبة للطرق التجارية، هذا الموقع جعلهم أسياد الصحراء دون منازع، ومنح لهم مصدرين أساسين للرزق أولاهما كراء الإبل للقوافل التي تقطع أراضيهم وثانيتهما التكفل بحماية هذه القوافل وسلعها، إضافة إلى الإغارة على القبائل والقرى المجاورة والقوافل التي لا تخضع لطلبهم وهو ما سنتكلم عنه في هذا الموضع.

أ- كراء الإبل:

كان تأجير الإبل العمل المربح للتوارق التي تقع بلادهم في طريق القوافل التجارية، فكان يتم كراؤها للقوافل الآتية من طرابلس عن طريق مرزق تجاه بلاد السودان أو لتلك القوافل الآتية من غدامس نحو غات لتقصد المراكز التجارية بمالي والنيجر، وللقوافل التي تأتي من إقليم توات وواحات الصحراء فتمر على عين صالح والهقار لتقصد تمبكتو بمالي، لذا كان التوارق هم من وضع ضوابط النقل عبر الصحراء فحددوا كلفة نقل القنطار عبر المسافات المحددة وغالبا ما تحدد المسافات بالوقت المستغرق في قطعها وهم يحددون المسافات التي يمكن للإبل قطعها قبل تبديلها بأخرى غير متعبة أو إراحتها بعد جهد، كما أنهم هم اللذين يقدرون أسعار الإبل للذين يعمدون إلى شرائها ويراعى في ذلك العرض والطلب، إذ يزداد الطلب أثناء إعداد القافلة للسفر ويقل عند إياب القوافل التجارية من بلاد السودان، ويراعى في أسعار التأجير أو

---

[1]- محمد سعيد القشاط: **عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص 166. كذلك، محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 144.

الكراء نوعية الطريق وعرة أم سهلة كذلك توفر الأمن والكلأ والحمولة وغيرها مما يأخذ في الحسبان، ورغم ذلك يقبل التجار على كرائها[1].

ويتم كراء الإبل ومعها صاحبها أو خادم يقوم برعايتها ويكون أيضا بمثابة دليل طريق لصاحب البضائع، وللتوارق حيلتهم فهم لا يقومون بتأجير الإبل السريعة وإنما الأقل سرعة وتربط مع بعضها بواسطة حبل مشكلة سلسلة طويلة وهذه القافلة قلما تسير في الليل وقد تقطع مسافة 10 كيلوكترات خلال الخمس ساعات من السير[2].

وهذا الجدول يوضح اسعار كراء الإبل نهاية العقد الثامن من القرن التاسع عشر 19م.

الإنطلاق	الوصول	الحمولة	الثمن بالعملة المحلية
غات	طرابلس	0.5 إلى2 قنطار	15 ريالا غاتيا
غدامس	توات	5.0إلى 3 قنطار	24 بوخمسة
طرابلس	غدامس	نفس الحمولة	7 إلى 8 محبوب
غدامس	غات	نفس الحمولة	2-3 محبوب
غات	كانو	0.5 إلى 2قنطار	32 بوطيرة

1- غوتلوب آدولف كراوزه: المصدر السابق، ص 131.

2- محمد بن عثمان الحشاشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 144.

وهذه الأسعار ليست ثابتة وقد شهدت ارتفاعا في السنوات الأخيرة نتيجة أمرين هما تزايد القوافل التجارية، وربما دفع قلة الأمن التجار إلى كراء إبل التوارق لكي يتقوا شر قطاع الطرق ويحافظوا من جهة أخرى على إبلهم[1].

ب- المبادلات التجارية:

وتلقى السلع والمتوجات القادمة من القطر التونسي إعجاب التوارق ويرون فيها الجودة والنوعية حتى ولو كانت غير ذلك، فهم يقبلون عليها بدون تدقيق حتى ولو بلغت أسعارا خيالية، فهم لا يساومون فيها خاصة وإن تعلق الأمر بسلاحهم المفضل السيوف، فيكفي أن يكون سيفا عاديا من تونس ليباع في أسواق غات بأضعاف ثمنه الأصلي[2].

لذلك ارتبط التوارق بعلاقات وطيدة بقوافل التجار الغدامسية بحيث يشتركون معهم في تنظيم القوافل المتجهة نحو الجنوب التونسي حيث تشهد منطقة تيطاوين توافد هذه القوافل ولكن ليست بتلك الأعداد الكبيرة كما تتمناها بعض الأطراف وخاصة الفرنسيين.

ويمكننا تتبع ذلك من خلال بعض الأرقام، ففي سنة 1983م دخلت إلى تيطاوين بالجنوب التونسي 19 قافلة من التجار الغدامسية والتوارق تتكون في مجملها من 90 رجلا و 414 جملا محملة ببعض البضائع القليلة الأهمية وترجع محملة بالحبوب ما قيمته 10 آلاف فرنك، وفي سنة 1894م يتراجع عدد هذه القوافل إلى 10 قوافل فقط من 63 رجلا في 303 جملا محملة بشيء قليل من سلع السودان، لتعود محملة بالحبوب، وكان وراء هذا التراجع أعمال النهب وقطع الطرق حيث استولى رجل من التوارق على 50 جملا لسكان الجنوب التونسي، فتوقفت بذلك قوافل الغدامسية وحتى الفزانيين خوفا من تحمل عواقب هذا الاعتداء، وليس التوارق وحدهم من يقوم بهذه الأعمال بل حتى من بعض القبائل من اشتهرت بهذا الجرم، أدى ذلك لتوقف المبادلات التجارية حيث أنه لم يدخل تيطاوين سنة 1895م سوى

---

[1]- غوتلوب آدولف كراوزه: المصدر السابق، ص 138. كذلك: محمد عمر مروان: المرجع السابق ص ص 269- 275.

[2]- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 123.

100 جمل وهم عدد ضئيل جدا وكانت القوافل تتجه نحو طرابلس بدل تونس، وما يمكن أن نستخلصه أن تجارة الغدامسية والتوارق مع الجنوب التونسي لا تعتبر تجارة بالمعنى الحقيقي لأن أغلب ما تعود به هذه القوافل هو للاستهلاك، حيث يعتبر الجنوب التونسي بمثابة مصدر لتموين التوارق والفزانيين والغدامسية[1].

هذا وتعتبر مدينة غات مركز التجارة الصحراوية فيها يتم البيع والشراء وتبادل السلع، فيحصل منها التوارق على التمر والحبوب والسلع التي تجلبها القبائل العربية القادمة من واحات الفزان، في حين أن توارق الهقار يجلبون إلى هذه الأسواق كل أنواع الماشية من البقر والغنم والماعز والإبل وأعداد من الأحمرة، وبعض المنتجات كالجبن والقليل من الرقيق، كما كانت لهم نوع من العلاقات الداخلية بينهم حيث يذهب توارق غات إلى الهقار لجلب حاجياتهم من الألبسة وأنواع القماش الذي يتخذون من بعضه اللثام، وبعض من المواد الغذائية وخاصة السكر وبعض سلع السودان من ريش النعام وناب الفيل وبعض المرايا ومواد مختلفة كالمرايا[2].

كما اشتغل توارق الهقار بنوع آخر من التجارة بعد الاحتلال الفرنسي للبلاد وفرض قوانينه الاقتصادية عليهم فمنعت الغارات وتم تحديد رسوم المرور على الطرقات فتأثر التوارق اقتصاديا مما دفعهم إلى ممارسة نوع آخر من النشاط الاقتصادي فمارسوا تجارة الملح الذي يجلبونه من منطقة الأمدرور الوقعة شمال شرقي الهقار فتنظم القوافل إليها كل سنة شهري أفريل وماي وبعد تجميع هذه المادة من المقاطع تملأ فوق ظهور الإبل وتتجه صوب مالي والنيجر أين تتم المقايضة هناك فترجع محملة بالذرة البيضاء والحبوب والجبن وتجلب الأبقار

1– COMMANDANT REBILLT: **Les Relations commerciales DE LA TUNUSIE AVEC LE SAHARA ET LE SOUDAN**, NANCY IMPRIMERIE BERGER– LEVRAULT ET 18, RUE DESIGLACIS, 18, 1895, p 55.

2 – غوتلوب آدولف كراوزه: المصدر السابق، ص 127.

وبعض السلع التي تستعمل لحياتهم اليومية من السروج التي تستعمل للركوب فوق ظهور الإبل وبعض الأجبان، وتقطع خلال هذه الرحلة التي تدوم مدة طويلة أزيد من 1400 كلم[1].

ج- قطع الطرق:

إن قلة الإمكانيات والموارد الطبيعية بالصحراء في ذلك الوقت، أدى بالقبائل الصحراوية ومنها التوارق إلى انتهاج أسلوب الإغارة وقطع الطرق والسلب وربما هذا هدية موقعهم على طول الطرق التجارية، فقد شكل التعرض للقوافل التجارية أحد مصادر رزقهم، فهي لا تكلفهم الكثير وبعدد محدود من الرجال يتربصون بالقافلة التي أنهكها التعب، ثم تتم مباغتة هذه القافلة والاستيلاء على أملاكها من ماشية وسلع وإن تمكنوا من أصحاب القافلة فإنهم يتم جلبهم ليصبحوا كعبيد هذا النوع الأول من الإغارة[2].

أمّا النوع الثاني من الإغارة فيكون على مستويات أكبر تنظيما لأنها تستهدف قرى وقبائل بعيدة، فتقوم القبيلة بتنظيم المتطوعين للإغارة التي يصل عدد أفرادها 50 رجلا وتعتمد السرية التامة والتنظيم المحكم في تقسيم المهام وعنصر المفاجأة والسرعة الكبيرة سواء في العملية في حد ذاتها، أو في جمع الغنائم ثم الفرار نحو المناطق الوعرة والطرق الخطرة الغير مألوفة، وتستهدف الإبل في المراعي ويتم أخذها مع رعاتها لكي لا يصل الخبر إلى أهل البلد، وبحلول القرن العشرين 20م تراجعت هذه الممارسات بين قبائل الهقار حيث خضعوا للسياسة الفرنسية، كما أن استخدام وسائل النقل الحديثة قضى على هذا الأعمال[3].

وكانت قوافل الغدامسية أكثر عرضة لهجمات التوارق ولنا أن نتخيل ما يتم جنيه من هاته الهجمات، ففي هجوم واحد لقبيلة الهقار سنة 1861م تم إحصاء الخسائر التالية، حوالي 308 مابين جمل وناقة، حملين من المرجان و36 رطل من المرجان الحر، و400 مثقال من الذهب، و76 حمولة من السلع السودانية، بالإضافة إلى مقاطع القماش وريش النعام حيث قدر

[1]- محمد السويدي: المرجع السابق، ص 85.

[2]- نفسه: ص 81.

[3]- نفسه: ص 82.

مجموع هذه الخسائر بما يقارب 850 ألف قرش، وفي سنة 1871م تمكنت إحدى قبائل التيتوق من التوارق من الإستيلاء على 400 جمل، والغريب في الأمر أنه لم يسلم من هذه الاعتداءات حتى التوارق أنفسهم إذ كثيرا ما يتعرضون لهجمات من أبناء عمومتهم وأعنف هجوم سجل في 1877م عندما داهمت 1100 مهري من الهقار منطقة الأزجر (1).

د- حماية القوافل والرحالة الأوروبيين:

عاش التوارق في ظل انعدام السلطات مئات السنين حتى أن الأنظمة السياسية الموجودة في شمال إفريقيا لم يتعدى نفوذها بضع مئات الكيلومترات في الدواخل، مما جعل طرق القوافل تحت سلطة شيوخ التوارق الحكام الحقيقيين للصحراء وعلى عاتقهم تقع مهمة تأمين السلامة على هذه الطرق، مقابل رسوم "غرامت" كانت تفرض على التجار أو وكلائهم بنسب معينة على كل جمل أو كل تاجر قدرت بريالين غاتيين، ويقوم هؤلاء بالتحري الدقيق عن أعداد الحمول والجمال والتجار أو وكلائهم، وقد يعرض التاجر نفسه للخطر إذا قدم بيانات خاطئة ومغشوشة عن كمية الشحنة المارة عبر أراضيهم وأنواع السلع فيها، ولكل تاجر حام معين تقع على كاهله سلامته وتجارته(2).

مثلت حماية الرحالة الأوروبيين أكثر إتاوات الصحراء إثارة للجدل والنزاع بين التوارق، لكونهم كانوا مرتبطين بحركة الاستكشاف الاستعماري، ومدعومين من قبل جمعيات علمية وسياسية ذات إمكانيات مادية ضخمة وهي في عملها جزء من المنافسة بين الدول للسيطرة على هذا الجزء أو ذاك من القارة الإفريقية، لذا كان ما يدفعه هؤلاء من هدايا وأعطيات كان يثير الكثير من الضغينة والفتنة بين التوارق، مما يؤدي إلى سفك دم هذا الرحالة، خاصة وإن كان الحامي" الأمد" من قبيلة ليست ذات شأن، فضلا عن أن شخصيات التوارق تدرك وتعي النوايا السيئة لهؤلاء الرحالة سواء كانت سياسية أو اقتصادية، كما أن الجشع يؤدي بهم إلى مصادرة

1- محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص ص 379- 383.

2- غوتلوب آدولف كراوزه: المصدر السابق، ص 158.

ما يحمله الرحالة من مال أو متاع ثم قتله، وهو ما حدث للمركيز دي موريس صاحب الحشائشي وغيره كثير[1] ممن غطت عظامهم رمال الصحراء فلم يعثر لهم على أي أثر.

كانت رحلة محمد بن عثمان الحشائشي تدخل ضمن المساعي الفرنسية لتحويل تجارة الصحراء نحو مستعمراتها في الجزائر وتونس بدل طرابلس ومنافسة الوجود العثماني وقد سبقت هذه المحاولة العديد وهو ما سنتطرق له.

ثالثا- الاهتمام الفرنسي بالصحراء وموقف توارق الشمال منه:

تمتد تجارة الصحراء إلى عهود غابرة سبقت عصر الرأسمالية بزمن طويل وكان الذهب والرقيق والجلود والعاج وبضائع مدارية واستوائية ركيزة هذه التجارة، وكانت توفر مداخيل لتغطية نفقاتها وكافية لدفع أسعار البضائع المعاكسة القادمة من أوربا، هذه التجارة التي ازدهرت في القرن 19م، فازداد التكالب الاستعماري على القارة الإفريقية التي استمرت في تقديم أبنائها كعبيد مقابل سلع تافهة كالورق والملابس والمرايا، فسيطرت بريطانيا على السواحل إفريقيا الغربية والشرقية تحت دواعي مكافحة الاتجار بالبشر، وبقيت مجمل الصحراء في دواخلها مجهولة ومفتوحة أمام التجارة طيلة القرن العشرين 20م، بل إن بريطانيا اعتمدت على قوتها العسكرية لتلاحق هذه التجارة في الداخل، وبحكم أن هذه التجارة كانت تنتهي في شواطئ تعد مستقلة قانونيا كموانئ تونس والجزائر ومصر والمغرب وطرابلس قلل من خطر البريطانيين[2].

بعد احتلال فرنسا الجزائر 1830م أدركت على الفور أهمية الاتصال بين الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ومجاهل الصحراء الكبرى، وهو ما أدركه العثمانيون الحكام الشرعيون للشمال الإفريقي، وهكذا وجد التوارق أنفسهم محل اهتمام الفرنسيين والبريطانيين والعثمانيين، فقد اهتم حكام فرنسا بالجزائر بدءا بالماريشال راندون الحاكم العام في الجزائر بتنفيذ سياسة بلاده في الصحراء وتحويل طرق التجارة التي تنتهي بطرابلس إلى المدن الجزائرية ثم إلى المدن

[1]- محمد بن عثمان الحشاشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص ص 180-181.

[2]- غوتلوب آدولف كراوزه: المصدر السابق، ص 119 وما بعدها.

التونسية بعد عام 1881م، فتم تنصيب حمزة بن أبي بكر شيخ قبيلة أولاد سيدي الشيخ باش آغا في المنطقة بين ورقلة وتوات لمراقبة الأوضاع في غدامس، كما أوكلت له مهمة توطيد العلاقات مع توارق الأزجر المنتشرين منها إلى غات وكسب ود نبلائهم والتحالف معهم[1].

هذا التحرك الفرنسي كان متزامنا مع تحرك عثماني في الصحراء من إيالة طرابلس الغرب نحو غدامس مركز تجارة الصحراء الأكثر أهمية على طريق القوافل، وإرغام أهلها على الاعتراف بالسيادة العثمانية في عام 1843م[2].

سارعت فرنسا إلى إرضاء سكان الصحراء وفي مقدمتهم التوارق وأدركت أن جلب التوارق وتجارتهم أيسر لها من خوض مغامرات ليس لها آخر في صحرائهم، ومن أجل ذلك قدِم حمزة بن أبي بكر على الماريشال راندون في الجزائر عام 1854م رفقة عدد من نبلاء توارق الأزجر والشيخ عثمان التيجاني شيخ قبيلة الأفوغاس التارقية الذي أغواه الماريشال بهداياه فوعده هذا الشيخ بالتعاون معهم نيابة عن زعيم توارق الشمال، كما خطت فرنسا خطوة مهمة ومغرية فأعلنت سنة 1856م عن إبطال جميع الرسوم التي تفرض على البضائع المستوردة إلى الجزائر من السودان، وقدم الشيخ عثمان إلى غات عن طريق وادي سوف وغدامس بصحبة نقيب فرنسي يدعى دوبونمن ومترجم جزائري يدعى إسماعيل بوضربة لإقناع زعماء الأزجر الآخرين بتقديم ضمانات للفرنسيين بتأمين قوافلهم التي تعبر أراضي التوارق، إلا هذا الوفد رجع دون نتيجة تذكر، ومع هذا فإن الماريشال المذكور أمر بتجهيز قافلة تجارية إلى بلاد السودان عبر غات في عام 1856م، وهي أول جولة لجس نبض العثمانيين والتوارق وأعيان غات[3].

هذا النجاح كان ليتم لولا مجموعة من العوامل من أبرزها بريطانيا التي لا تريد نجاحا فرنسيا يأتي على مشاريعها في الصحراء بتحويل طرق القوافل إلى الجزائر، فتضعف بذلك

1- عبد الرحمان تشايجي: **الصراع التركي-الفرنسي في الصحراء الكبرى**، تر علي اعزازي، ط1، مركز جهاد الليبيين، ليبيا، 1982، ص 63.

2- محمد عمر مروان: المرجع السابق ص 27.

3- عبد الرحمان تشايجي: نفسه، ص 63-68.

رقابتها على تجارة الصحراء، لاسيما بندها الأكثر أهمية تجارة الرقيق، وهي تخشى إحكاما فرنسيا على الصحراء الكبرى في ظل المنافسة الاستعمارية بين الدولتين للسيطرة على القارة السمراء، كما أن التجار الغدامسية كانوا بالمرصاد لكل تحرك فرنسي إزاء الصحراء أو التوارق فقد كانت مصلحتهم في استمرار القوافل على الخط الرابط بين غات وطرابلس عبر قضائهم، والعامل الآخر هو الذي كان أشد فاعلية وقوف رجال الطريقة السنوسية التي تضرب بأطنابها في هذه المنطقة موقفا حازما حيث أدركوا أن قدوم الدولة العثمانية الإسلامية إلى بلادهم أهون بكثير من الاستعمار الفرنسي المسيحي[1].

تواصل النشاط الفرنسي ممثلا في بعثة الجغرافي هنري دوفرييه الذي دخل الصحراء بترخيص من والي طرابلس وتنقل من غدامس إلى غات ومنها إلى مرزق ثم رجع إلى طرابلس، وكان برفقة الشيخ عثمان تحت حماية أخنوخن زعيم توارق الشمال، وكانت رحلته مصدرا لتصورات الفرنسيين حول التوارق وتشجيعهم لعقد اتفاقية صداقة وتعاون مع توارق الأزجر[2].

- معاهدة غدامس:

سبقت هذه المعاهدة ظروف خاصة ففرنسا كانت المتحكم في السياسة الدولية وهو ما مكنها من عقد اتفاقية مع الدولة العثمانية 1856م تعترف فيها بممتلكات هذه الأخيرة، كما أن هذه الفترة شهدت طلب أعيان غات الدخول تحت حكم العثمانيين للتخلص من سطوة التوارق، لكنه ذلك لم يحدث مهادنة للفرنسيين أولا ولرفض التوارق للعثمانيين ثانيا[3].

وقعت هذه المعاهدة في 26 من أكتوبر 1862م، من طرفي مندوبين عن الحكومة الفرنسية هما النقيب بولنياك والمقدم ميرتشر، ووقعها نيابة عن أخنوخن زعيم توارق الأزقر ابن أخيه الحاج البشير والشيخ عثمان ، ولا يمكن معرفة الأسباب الحقيقية التي كانت وراء عدم

---

[1]- عبد الرحمان تشايجي: المرجع السابق، ص ص 64-65.

[2]- يحي بوعزيز: **"اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه، مجلة الأصالة"**، عدد 72، أوت 1972،الجزائر، ص 54.

[3]- عبد الرحمان تشايجي: نفسه، ص 88.

حضور أخنوخن إلى غدامس وإبرام الاتفاقية مع الفرنسيين، هل كان على درجة عالية من الفطنة والحنكة السياسية بحيث لا يريد أن يلزم نفسه إزاء "كافر" وهو زعيم التوارق على الإطلاق؟ أم هو لا يريد أن يلزم قومه بما ألزم به عائلته بالإقلاع عن الغزو وقطع الطرق؟ أو أنه كان يتوجس من السلطة العثمانية فلم يحضر إلى غدامس وأناب عنه أخيه لإبرامها؟[1].

أهم ما نصت الإتفاقية هو إعفاء أموال التوارق وتجارتهم وبضائعهم من الرسوم الجمركية حين قدوم قوافلهم إلى أسواق الجزائر، مقابل أن يضمن التوارق ممثلين بعائلة أخنوخن سلامة القوافل التجارية الجزائرية والفرنسية حين المرور بأراضيهم، على أن لا يقلل ذلك من الإتاوات ورسوم المرور المتعارف عليها في الصحراء التي كانت تدفع لهم من قبل الأشخاص ذوي العلاقة، مع أجور كراء الجمال التي كانت تدفع لأصحابها، وأن يحدد التوارق أسهل الطرق وأجداها لمرور القوافل، اعتمادا على خبرتهم وحسن تصرفهم، وتلزم الحكومة الفرنسية بتحمل نفقات حفر الآبار وصيانة الطرق، كما أن هذه الاتفاقية لا تؤثر على الاتفاقات السابقة التي أبرمها التوارق مع أطراف أخرى، وغيرها من البنود ذات المضامين الاقتصادية الصرفة[2].

قدمت المعاهدة امتيازات ربما لا يحلم بها التوارق في ذلك الوقت إلا أن أخطر ما فيها هو أن الفرنسيين تعاملوا مع التوارق على أنهم شعبا مستقلا يعيش على أرضه غير الخاضعة لأحد، وهو ما أعجبهم كثيرا دون ملاحظة أن فرنسا كانت تتوسع في الصحراء تحت ذريعة أنها أرض ليس لها مالك ومن واجبها السيطرة عليها لتأمين طرق التجارة أو حتى توجيهها إلى مدن مستعمراتها في الشمال الإفريقي أو لإدخال التطور الحضاري أو ذريعة من هذا القبيل[3].

كانت اتفاقية غدامس عديمة الفائدة، لعدة أسباب كعدم التزام التوارق بها، والإصلاحات التي أحدثها العثمانيون بالجهاز الإداري بغدامس، وأهم سبب هلاك حمزة بن أبي بكر باش آغا ورقلة وهو عرّاب العلاقات الفرنسية مع توارق الأزجر، وتزعم ابنه سليمان الحاقد على الفرنسيين

---

[1]- محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 397-398.

[2]- عبد الرحمان تشايجي: المرجع السابق، ص ص 71-72.

[3]- نفسه، ص 72.

ثورة أولاد سيدي الشيخ في عام 1865م والتي استمرت حتى 1883م، كما أن الحرب الفرنسية البروسية عام 1870- 1871م ألهت فرنسا عن مثل هذه المشاريع، ورأت الدولة العثمانية نفسها غير ملزمة بسياسة الإرضاء التي سارت عليها إزاء فرنسا بعد حرب القرم[1].

فيما تجدد الاهتمام الفرنسي بتجارة الصحراء، لذا فوضت المهندس دي بانشل للعمل في الصحراء، فطرح فكرة طموحة لربط الجزائر بتمبكتو وأقاليم السودان بسكة حديد، ولذلك سميت عددا من اللجان لدراسة المشروع على الأرض، من بينها لجنة فلاتيرس الذي كان تحت حماية سلطان الأزجر أخنون الفاقد لهيبته فلم يمكنه من دخول غات[2]، أراد فلاتيرس بعدها مواصلة طريقه بموافقة أهيتاغل زعيم قبائل الهقار، لكن هذا الأخير عزم على تصفية هذه البعثة التي لقيت حتفها في 16 فبراير 1881م على أيدي توارق الهقار، ولم ينج من هذه البعثة سوى 20 جنديا جزائريا[3]. أكدت هذه الحادثة عدم جدوى هذا الأسلوب ولا فائدة ترجى من عقد معاهدات مع التوارق فتم انتهاج أسلوب آخر.

ثم أتى الدور على مشروع الكاردينال الفرنسي لافيجيري الذي اختار الأسلوب الديني للتغلغل وسط الصحراء وعلى هذا الأساس تشكلت مجموعة الآباء البيض فقدم مجموعة منهم وقدموا خدمات طبية بالمجان وتجولوا بين التوارق لكسب ثقتهم مدة ثلاث أعوام، إلى أن حامت حولهم الشكوك فقتل ثلاثة منهم حول غدامس في ديسمبر 1881م [4]، بعدها توقفت البعثات لغاية 1892م أين قام احد الجنود الفرنسيين المغامرين بتسع رحلات إلى الصحراء انتهت دون الوصول إلى غات وأكدت رفض التوارق التام للمشاريع الفرنسية ولو على حساب جثثهم لإدراكهم التام أن هذا النجاح يعني انتهاء تجارة القوافل وأدرك الفرنسيون أن تطبيق هذه

[1]- عبد الرحمان تشايجي: المرجع السابق، ص ص 73-79. للاستزادة ينظر: محمد مروان: المرجع السابق، ص 398.

[2]- عبد الرحمان تشايجي: نفسه، ص ص 90-93.

[3]- شارل فيرو: **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، تح محمد عبد الكريم الوافي، ط2، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي- ليبيا، 1994، ص 528.

[4]- نفسه، ص ص 528- 529.

المشاريع لن يتم إلا باستخدام القوة المسلحة، فأوكِلت له مهمة رسمية استكشافية في أكتوبر 1898م إلى تشاد وكان نجاح هذه المهمة يعود بالأساس لوجود الجزائريين فيها[1].

لم يكن ما أقدم عليه التوارق البواسل من مقاومة لهذه البعثات الأجنبية بعيداً عن تدبير الغدامسيين المحنكين الذين كانوا أصحاب المصلحة الحقيقية في فشل المشروع الفرنسي في الصحراء الهادف إلى تغيير طريق التجارة الرئيس عن غدامس أو طرابلس[2].

وخلاصة هذا إن التوارق هم شعوب الصحراء الأصيلة من بطون صنهاجة استوطنتها منذ أزمنة بعيدة من فزان وغرب غدامس إلى غات وامتدوا إلى إقليم توات ومنه إلى الهقار الحصينة وهم توارق الشمال وأخوتهم في الجنوب، ليكونوا أسيادا على هذه الفيافي المتحكم في طرقها التجارية وأمنها واقتصادها، وهو ما جلب لهم تنافس الأنظمة السياسية من حولهم، لم يكن لهم بها سابق عهد.

---

[1]– حسن مرموري: **التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية**، (رسالة لنيل شهادة ماجستير)، تحت إشراف عبد الغني مغربي، دائرة علم الإجتماع، كلية علم الإجتماع، جامعة الجزائر، 2001–2002م، ص ص 118–119.

[2]– محمد بن عثمان الحشاشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 147.

الفصل الثالث: الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية لدى التوارق.

أولا- الجانب الاجتماعي.

ثانيا- الجانب السياسي والأمني.

ثالثا- الجانب الديني والثقافي.

تميز المجتمع التارقي بعديد العادات والتقاليد التي انفرد بها وسط الصحراء، وجعل منها شعارا له، وعمل جاهدا للحفاظ عليها رغم ما يحيط به من متغيرات تعمل دائما على التأثير فيه، وقد أنشأ لنفسه نظاما عاما أوجب عليه سلوكه واحترامه، كما عرف عنه التمسك بثقافته ولغته رغم تعاقب الأزمنة والعصور، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

أولا- الجانب الاجتماعي:

وهو جانب مهم في التعرف على كيفية عيش الشعوب ومبادئها كما يترجم تفكيرها ويعكس سلوكها تجاه عدة ظواهر، فمن خلاله يمكن فهم المجتمع التارقي الذي تزخر أوساطه بعادات فريدة ومتنوعة قد لا نجد الكثير منها وسط المجتمعات العربية المسلمة، فحافظ عليها وجعل منها سمته ولو أن منها ما اندثر مع مرور الدهر.

1-الطبقات الاجتماعية:

يعتبر المجتمع التارقي مجتمعا قبليا بامتياز، فالفرد فيه تأخذه الغيرة والعصبية على قبيلته فعليها يضحي بكل ما أوتي من قوة، وإليها يعلن الانتماء والانقياد والولاء والخضوع وهو ما ولّد لحمة قوية ونسيجا من التكافل الاجتماعي بين أفراده، وقد قسم إلى عدة طبقات قبلية[1].

أ- طبقة النبلاء (إموهاغ):

هي والطبقة العليا في تصنيف طبقات المجتمع التارقي، ولها هذا الشرف نتيجة تمسكها بالعادات والتقاليد المتوارثة منذ القدم، أو أن نسبها يعود إلى النسب الشريف نسب رسول الله (صل الله عليه وسلم)، ومن هذا النسب يطلق عليهم طبقة الأشراف وبنسبها هذا تحظى بالتبجيل والتقدير، وكثيرا ما يكون منهم شيوخ الدين، وتتمتع هذه الطبقة بما ليس لغيرها من

[1]- اكناته ولد النقره: **الطوارق من الهوية إلى القضية**، ط1، مطبعة طوب بريس الرباط، 2014، ص ص 72-73.

الامتيازات، فهي المتحكمة في زمام الأمور، كما أنها صاحبة الكلمة الأخيرة لقوتها المادية والسياسية لكون السلطان يخرج من بينهم وكذلك شيخ القبيلة[1].

ب- طبقة الأمغاد (العامة):

تضم تلك الفصائل التي لم تتمسك بشرف المحافظة على مورثها الثقافي التارقي ولم تلتزم به مثل النبلاء، وذلك لأنها إما قبيلة قهرت تحت قوة قبيلة السلطان الحاكمة فجعلتها تحت إمرتها، أو أن هذه الطبقة لا تريد السلطة وجبروتها فلم ترق لنفسها تحمل تلك العادات، كما أن القبائل الدخيلة عليهم والتي أصبحت تحت حماية القبيلة الحاكمة طالبة للأمن أو مناطق الرعي تندرج ضمن هذه الطبقة، ومنها تتكون الجيوش وحرس السلطان، ومن نساء الأمغاد يتخذ منهن نساء الطبقة الأولى صديقات وحتى مساعدات لهن في تدبير شؤونهن[2].

ج- طبقة الانسلمن (الفقهاء):

برزت هذه الطبقة بين التوارق بعد انتشار الإسلام بينهم وتتكون من مجموع الأفراد الذين لهم دراية بعلوم الدين والفقه، حيث يشرفون على تلقين القرآن للأولاد وآداب اللغة العربية وعلومها حتى أن نسبهم يرجح رجوعه لأصول عربية، وتلقى هذه الطبقة حماية الطبقة النبيلة، ومنها يختار إمام السلطنة[3].

د- طبقة الحدادين:

تسمى عند التوارق إنيضن وذلك يدل على تواجد هذه الطبقة بينهم منذ القديم، حيث اختصت في الصناعات التقليدية من حلى ومجوهرات للنساء، ولوازم البيت التارقي من أعمدة

---

[1]- إبراهيم العيد بشي: **التاسيلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا**، المرجع السابق، ص ص 79-80.

[2]- نفسه، ص ص 82-83.

[3]- محمد سعيد القشاط: **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص 67.

وجلد ، كما تتقن صنع أكياس وحاويات لحمل الأمتعة فوق ظهور الدواب، وعلى كاهل هذه الطبقة يقع إنتاج الأسلحة للقبيلة كالسيوف والخناجر والدروع[1].

و- طبقة العبيد:

تتكون في أغلبها من الزنوج السود اللذين تم شراءهم أو اختطافهم من الغارات والحروب، هذه الطبقة تحررت فيما بعد لكنها بقيت تابعة لقبائل التوارق وامتزجت معها، وأصبح العبد يتبع قبيلة سيده، فيرعى إبله كما يشتغل بالفلاحة وجلب الماء وجمع الحطب[2].

2- الأسرة:

تمثل المرأة الدور الرئيس، وذلك للسلطة والحرية التي تتمتع بها وسط هذا المجتمع، ولهن في ذلك سيطرة على أزاوجهن، هذه الحرية ربما بلغت شيئا من المبالغة حتى أن المؤلِف رأى أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل إيجاد امرأة صالحة في البلاد الممتدة من مرزق إلى غات، وهو في ذلك يذمهن ويرميهن بتهم الفساد الأخلاقي، وربما تفسير ذلك عنده أن نساء مرزق ليس لديهن أي مانع في استقبال الضيف والذهاب إلى منزله والمكوث معه وتقديم ما يستطعن تقديمه له من حسن الطعام والشراب[3].

إن هذه المكانة التي تتبوؤها المرأة التارقية تدور حولها الكثير من الأساطير التاريخية، فهي تعود إلى الملكة تينهنان التي لها فضل تأسيس النظام الأمومي لدى التوارق الذي ينتقل فيه الحكم إلى ابن الأخت، ويعتقدون أن الملكة نفسها استلهمت هذا من ملكة الجن وذلك لكي لا يفنى ملكهم مهما حاول الغزاة، وهناك حادثة أخرى مفادها أن إحدى قبائلهم خرجت للغزو فباغت العدو القبيلة فبتدبير من أحد الشيوخ تلثم النساء وحملن السلاح، فظنهن العدو جيش

---

[1]- محمد سعيد القشاط: **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص 69.

2- نفسه، ص ص 71-72.

[3]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 136.

منظم، فهم بجمع الماشية من المرعى فهاجمه الرجال عند عودتهم، وسقط في هذه الملحمة عدد من النساء، فمنذ ذلك الحين تلثم الرجال تقديرا لنسائهم[1].

هذه الحرية تجسدت في عدة مظاهر لم يشر إليها المؤلف أو لم يحضرها، أكسبت المرأة التارقية هذه الميزة؛ فهي من تختار شريك حياتها في الحفلات والمناسبات المختلفة كالأعراس والختان، وهي كثيرا ما تكون مختلطة، كما يمكِّنون الشاب عند البلوغ في احتفالات موسيقية يتخللها الرقص والغناء خاصة يحضرها كلا الجنسين من التعرف على فتاة لتبدأ بعدها مراسم أخرى[2]، وتتم وفق المراحل التالية:

أ- مرحلة الخطوبة والتي تطول عندهم لأكثر من عامين وحتى الأربع سنوات، وهي فرصة عندهم لكي يفهم الطرفين بعضهما البعض وإحداث نوع من التوافق بينهما قبل الزواج، وفيها يلتزم الشاب الذي يدعى في هذه مرحلة الخطوبة (اخوبي) والبنت تدعى (تنوبيت) بحسن الخلق والتأدب وعدم الوقوع في المحرم، ثم يتم طلب الزواج وهي خطوة مكملة للمرحلة الأولى، وتتم بعد إدراك أهل الزوج تفاهم الخطيبين وجدية علاقتهما، فتستغل أم العريس مناسبة ما لتطلب البنت من أمها، لتتم بعد ذلك الخطوبة الرسمية بواسطة شخص تكون له كلمة، ويلقى الاحترام بين الجميع، ليتم تحديد موعد الزواج ومكانه، وتراعى فيه الظروف خاصة لدى الرحل منهم حيث يشترط الماء والكلأ من أجل الضيوف[3].

ب- مرحلة الزفاف ويتم ذلك وفق الشريعة الإسلامية التي تستوجب إيفاء أركان الزواج ليتم عقد القران، مثل المهر الذي يدفع من الماشية كالإبل والغنم والمعز وهو يختلف في نوع وعدد الماشية حسب مركز القبيلة، وبهذه المناسبة تقام الحفلات ومجالس الغناء في جو بهيج وما يميزهم عن القبائل الأخرى أن هذه الأفراح تقام عند أهل العروس وهي من تختار موقع

---

[1]- إبراهيم العيد بشي: **التاسيلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا**، المرجع السابق، ص ص 11-12. كذلك، عمر الأنصاري: المرجع السابق، ص 66.

[2]- عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 72.

[3]- نفسه: ص ص 79-80.

خيمتها، وأكثر من ذلك فإن هذه الأسرة الجديدة تبقى في قبيلة الزوجة لعامين واندثرت هذه العادة لتتقلص إلى سبعة أيام للفرح والمرح فقط[1].

هذه الحرية فسِّرت بكثير من الأقاويل، كانتشار الإباحة الجنسية والرذيلة في هذا المجتمع، وأشار إلى ذلك كثير من المؤلفين أو فسروا ما شاهدوه من خلال ذلك، إلا أن هذا القول يحتاج إلى تمحيص أكثر إذا علمنا أن التوارق مسلمون متمسكون بدينهم الذي يحرم عليهم ذلك، كما أن الزانية والزاني إذا ضبط بهذا الجرم فإن عرفهم وشريعتهم تعطي الحق للزوج بقتل الزاني دون شروط أو متابعات أو مطالبة بالفدية، وإنما أتت هذه الحرية من باب المساواة بين الرجل والمرأة، مثلما أن الشاب لا يغلب على تفكيره السيطرة على المرأة عند التعرف عليها أو خطبتها وهذه النظرة تبقى بعد الزواج[2].

إضافة إلى ذلك فإن مكانة المرأة محفوظة عندهم بعد الزواج، فهي تورث ابنها الشرف إن كانت من الطبقة العليا بغض النظر عن الطبقة التي ينتمي إليها الزوج، ولا تسقط هذه المكانة حتى ولو أنها تزوجت من أقل منها درجة، عكس الرجل الذي يتوجب عليه للمحافظة على مكانته أن يتزوج من قبيلته أو قبيلة أخرى هي أعلى شأنا من قبيلته، ويبقى الأولاد يحملون اسم أبيهم رغم الانتساب لقبيلة الأم، كما لها حق طلب الطلاق إذا رغبت في إنهاء هذه العلاقة دون الوصول إلى التخاصم، فيكفي أن تتقدم للقاضي دون الإفصاح عن الأسرار التي أدت إلى ذلك ولو أن الطلاق قليل بينهم، حاله في ذلك حال تعدد الزوجات إذ هو نادر بينهم وهم يتشددون في ذلك إلى درجة أنه يتم الاتفاق عليه قبل الزواج[3].

في حين أن الأب هو رب الأسرة، ويقع على عاتقه العمل للتأمين حاجيات الأسرة من مأكل ومشرب، وهو المدبر لشؤونها والمتصرف فيها، ولا تتحمل المرأة في هذا من شيء فلا يجوز إخراجها للعمل في الزراعة والرعي وحتى جمع الحطب الذي غالبا ما تتولى جمعه النساء

---

[1]– عبد السلام بوشارب: المرجع السابق: ص 82.

[2]– محمد سويدي: المرجع السابق، ص 96.

[3]– نفسه: ص ص 97-98.

في باقي القبائل البدوية، في حين أن الأم تتكفل بأعمال المنزل وخدمته ويتحمل الوالدان تربية الأبناء بينهم، إلا أنهم في حالة طلاق الأم أو وفاة الأب يتبعون أمهم إلى قبيلة أخوالهم وينتسبون إليها ويدافعون عنها حتى ضد قبيلة أعمامهم وأبيهم الذي طلق أمهم[1].

3- بعض طبائع أهل التوارق:

يعرف عن التوارق قلة الكلام والتأني في ذلك فهم لا يتكلمون إلا لشيء مهم وهم قليلو الغضب والانفعال بل يغلب عليهم التريث ودراسة الأمور بجدية وإعطاء الوقت لذلك وهم يلجأون إلى مشورة عقلائهم في كبريات الأمور[2].

فهم أهل صبر وثبات ويظهر ذلك عند فقدانهم لعزيز، حيث الصبر شيمتهم فلا يبكي الرجال موتاهم، فبعد أن تتم مراسم الجنازة على الطريقة الإسلامية من تغسيل الميت بالماء الساخن وتكفينه بثوب جديد ثم يتم دفنه، يقومون بعد ذلك بالرحيل من منطقتهم تلك إلى منطقة أخرى كي ينسوا فقيدهم ويتخلصوا من حزنهم، وحتى يسهل عليهم ذلك فإنهم لا يسمون أبناء هذا الميت باسمه بل يكتفوا بذكر اسم الولد فقط[3].

4- اللباس:

يعتبر اللباس من الأهمية بمكان في حماية الإنسان من تقلبات الطقس، ومن خلاله يظهر التميز الطبقي والاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد، كما يعرف التوارق بلباسهم الخاص الذي يميزهم عن غيرهم، فيرتدون القمصان ذات الأكمام الواسعة التي تقارب أن تلمس الأرض، وهي عادة ما تكون بيضاء وذلك لكي تقيهم درجات الحرارة فهي تعكس أشعة الشمس التي تعرف ارتفاعا كبيرا، وقلما تكون هذه القمصان سوداء وربما لُبست في أيام معدودات من فصل الشتاء، في حين يُعرف أعيانهم من خلال ارتدائهم لطربوش ذا لون أحمر يتم جلبه من تونس

---

[1]- عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 79. كذلك، الطاهر عبد الجليل: المرجع السابق، ص 125.

[2]- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 120.

[3]- HENRI DUVEYRIER, OP.CIT, p 431.

فهم يتباهون في ذلك وهو ما انفرد به الحشائشي، إضافة إلى العمامة التي يضعونها على رؤوسهم التي يحلقونها بالكامل مع الإبقاء على شريط من الشعر يمتد من مقدمة الرأس إلى آخره بعرض الثلاثة سنتيمتر، وتغطية الوجه بلثام ملازم[1].

هذا اللثام الذي انفرد به التوارق وهو شعارهم لليوم حمل عدة دلالات اجتماعية، وفسر بكثير من الآراء والتحليلات كل حسب توجهه التي كثيرا ما يرجعها الباحثون إلى أسباب ارتداء هذا اللثام أصلا ونظرة التوارق إليه، وإن فسِّر ارتداؤه عند بعض القبائل الصحراوية لأجل الحماية من الحر وحماية البشرة من الرمال والغبار التي تحركها الرياح في هذه الأقاليم الجافة، إلا أنه عند التوارق يحمل معنى آخر.

تعوّد التوارق في ذلك أن لا يُسفِر المرء عندهم عن وجهه سواءا كان من شرفاء القوم وأعلاهم منزلة أو من طبقة العبيد السفلى، لأي شخص حتى لو كان من المقربين من الأهل كالزوجة أو الأصدقاء، وأكثر من ذلك أعتبر الفم عندهم عورة يجب سترها، وتمسكهم به رهيب ولا يفارقهم ماداموا أحياء، حتى أن الواحد منهم أثناء أكله فإنه يرفع الجزء السفلي منه ويرفع طعامه بيده إلى فمه دون أن يتجرأ وينزع لثامه، وإن حدث أن اتسخ أو تمزق هذا اللثام وأضطر إلى تغيره أو إعادة ربطه من جديد فإنه يتوارى عن الأنظار ويختفي بعيدا لكي لا يراه أحد حتى أفراد أسرته[2].

مما يثير الاهتمام هو التشبث بهذا اللثام عكس اللباس الآخر الذي أضطر هذا المجتمع إلى تعديله أو الاستغناء عنه خاصة في ظروف العمل، وهذا ما فهم أن اللثام يمثل ظاهرة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها لأنه رمز المنزلة الاجتماعية فمن خلاله يعرف الشخص وانتمائه القبلي[3].

---

[1]– محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 145.

[2]– عبد الجليل الطاهر: المرجع السابق، ص ص98–99. ينظر: ملحق رقم 4، ص 100.

[3]– محمد سويدي: المرجع السابق، ص 249.

أكثر من ذلك فقد مثل هذا اللثام ما يشبه بطاقة الهوية، فإن القتيل الذي يسقط في أرض المعركة ويسقط لثامه عنه، يعاد تركيبه لكي يسهل التعرف عليه، كما يؤدي اللثام وظيفة الفرز بين الرجل والمرأة فإنه به يتم الفصل بين الأطفال والرجال حيث يحدد سن معين لارتدائه بين العشرين والخامسة والعشرين، وتقام لذلك الاحتفالات ومنذ ذلك الوقت اكتملت رجولته وأعترف بكمال حقوقه وعضويته داخل المجتمع التارقي[1].

ويرجع البعض أسباب ارتداء اللثام إلى أسلوبهم في الحياة فهم قبائل كثيرة الغزو وحروبهم كثيرة، فظهر هذا اللباس بينهم للتخفي وعدم معرفتهم، في حين فسره آخرون بنوع من الأساطير فهم يعتقدون أن الأرواح الشريرة تتسلل إلى جسم الإنسان عن طريق الأنف والفم لذلك وجب تغطيتهم[2].

أما عن صفة اللثام الذي يسمى عندهم (التاجلموست) ، عبارة عن قطعة من القماش قد يصل طوله حتى 12 متر، ولونه الأزرق الناصع عند النبلاء والأبيض فيما دونهم، وهو يرِدهم من بلاد السودان مالي والنيجر، وهو يتكون من مجموعة أشرطة يكون بينها مجال يسمح بالتنفس، ويلبس على شكل طيات متراصفة فوق الرأس ثم يسحب طرفه ليغطي الوجه ولتبقى محاجر العينين بارزة، ولا تعرف النساء عند التوارق الحجاب فهم سافرات الوجوه سواء كانت متزوجة أو عزباء[3].

5- المسكن:

لم يعرف التوارق الاستقرار في المدن فهم رحّل كانوا يحطون رحالهم حول هذه المدن وواحات النخيل وبالقرب من الأودية حيث تتوفر المياه العذبة والمؤونة، وتتشكل هذه البيوت من

---

[1]- يوسف بن موسى: **"لثام التوارق دراسة أنثروبولوجية وسوسيولوجية"**، مجلة الثقافة الشعبية، ع 41، مملكة البحرين، ربيع 2018، ص 119.

[2]- محمد السويدي: المرجع السابق، ص 237.

[3]- نفسه: ص 237.

جلود الثيران يطلق عليها "كلابو" التي تأتيهم من السودان بثمن يتراوح مابين 10 و12 فرنكا، ومن هذه الجلود تشكل ما يشبه الغرف الصغيرة مربعة الشكل طول ضلعها المتر والنصف[1].

كما يتم الاعتماد على جلود الغنم والماعز، وبما أن حجمها أصغر من جلود الثيران يتم دمجها مع بعضها بعد عملية الدبغ حتى تأخذ اللون الأحمر لإنشاء خيام، ثم ترفع بواسطة أعمدة، وما يلفت النظر أن هذا النوع من الخيام كان يميز التوارق عن غيرهم من البدو العرب من جهة وهو يميز أيضا شيوخ القبائل عن غيرهم، ويقسم قسمين أيمن للنساء وأيسر للرجال، وفراشهم الرمل[2].

إلا إنه يوجد نوع آخر من البيوت يلجأ إليه التوارق وهو الأكواخ والزرائب التي يعتمد فيها على بعض الأغصان والجذوع وعلى حصائر من القصب والديس حيث ترتكز على أربعة أعمدة، حيث في كل زاوية عمود يحفر له في الأرض لمقاومة الرياح، ثم يغطى ببعض القش من أوراق وعيدان، ويلجأ إليها التارقي ليلا للمبيت ولا يدخلونه نهارا[3].

في حين يلجأ الكثير من الفقراء إلى الكهوف والمغارات وحتى جذوع الأشجار لتقيهم حر الصيف وبرد الشتاء، إلا أن منهم من يبني أكواخا ذات شكل مخروطي ترتكز في وسطها على جذع شجرة كبيرة مشكلة قبة ملفوفة بحصير القصب، أو جريد النخل، ويكون هذا الكوخ كبير الحجم نوعا ما حتى يتم لم شمل العائلة كاملة بما في ذلك الأغراض اليومية من قمح وحبوب أخرى وبعض الافرشة التي أساسها الصوف وشعر الماعز، وبعض المقتنيات الأخرى كسروج الخيل وراحلة الإبل وهي كلها دون تقسيم وإنما تخصص لها أماكن وأكياس لجمعها، كما يوجد نوع آخر من الأكواخ الاسطوانية حول غات وغدامس ومرزق وهي من الحجارة والتراب[4].

---

[1]– محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 140–141.

[2]– المختار محمد عثمان العفيف السوري: المرجع السابق، ص 97–98.

[3]– نفسه: ص 97.

[4]–نفسه: ص 98. كذلك، محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 123. ينظر: ملحق رقم 5، ص 101.

6- طعام التوارق:

لا تعرف مائدة التوارق تنوعا كبيرا في أنواع الطعام، فهي تتميز بالبساطة وقلة التعقيد، وترتكز على مادتين أساسيتين هما الذرة البيضاء والتمر الذي يقومون بحشوه على شكل كريات، ولا يعتمدون على الزيت في إعداد طعامهم، ويشكل لحم الإبل أحد مميزات معيشتهم فيقومون بتجفيفه للمحافظة عليه أطول فترة ممكنة من التلف ولا تنحر عندهم إلا الإبل كبيرة السن التي قاربت الموت وأصبحت لا فائدة ترجى منها[1].

للتوارق طريقتهم في إعداد اللحم فبعد إشعال النار وسقوطها يرمون اللحم على الرمل الساخن وعند اقتراب نضجه يخرجونه ليتناولوه، أما أحشاء الشاة فلها طريقة أخرى حيث يفرغون المعدة من محتوياتها ثم يتم غسلها، وبعدها ترمى الكبد والقلب والرئتين والكلى وبعض قطع اللحم وسط هذه المعدة، وفي هذه الأثناء تكون النار قد وهجت ورمي وسطها بعض الحجارة الصغيرة وقد احمرت فيأخذونها بأيديهم ويضعونها وسط هذه المعدة ويقومون بتحريكها لينضج اللحم ويتم إغلاق فم المعدة، وهكذا بعد مدة ينضج اللحم وتنزع الحجارة ثم يجتمعون حول هذا الطبق ويتناولونه بشراهة كبيرة، إلا أنهم عند اشتداد الحال بهم يتحملون الجوع والعطش وهو ما تفرضه عليهم هذه البيئة القاسية، وقد يلجأون إلى ما تنبته الأرض من الشعير وبعض الحبوب الأخرى التي تشبه الأرز، حيث يصنع منها الخبز بعد طحنها، والغريب عندهم نفورهم من الدجاج لحمه وبيضه ترفعا عنه لأكل الأوساخ ونجاسته[2]، وعلى العموم فهذا جزء من عادات ومميزات التوارق الحافلة بالكثير من التنوع ولا يتسع المجال إلى ذكر بعض الاحتفالات والطقوس الأخرى.

---

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 159.

[2]- محمد سعيد القشاط: **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص 82.

ثانيا- النظام السياسي والجانب الأمني عند التوارق:

1- النظام السياسي:

عرف عن التوارق الترحال وعدم الانقياد والخضوع لأي نظام سياسي، لذلك لم تظهر بينهم دولة أو كيان سياسي عدا دولة المرابطين في العهد الوسيط، حيث شكلوا قطعة أساسية من تاريخها السياسي والعسكري، كما أعطت هذه الدولة نموذجا لاندماج العديد من القبائل الصحراوية، إلا أن التوارق شكلوا لأنفسهم نظاما عرف بالسلطنات التي تشكل كل واحدة منها ما يشبه الوحدة السياسية، فحافظوا عليها من الانحلال بتطبيق القوانين الداخلية لها، ومن أراد الخروج عن النظام وجبت محاربته وإرجاعه بالقوة، وأنقسم توارق الشمال إلى سلطنتين تنطوي تحتهما عديد القبائل[1].

1- سلطنة الأزجر وتضم هذه السلطنة قبائل التوارق المنتشرة في جبال التاسيلي حتى غدامس ومرزق وتوارق إليزي وجانت وعاصمة هذه السلطنة غات وتدخل تحت إمرتها ثلاث قبائل شهيرة هي أوراغن ومنغساتن وإفوغاس وتتحرك هذه القبائل في هذا المجال الجغرافي غير الثابت[2].

2- سلطنة الهقار وهذه السلطنة أقل مساحة من الأولى وعاصمتها مدينة تمنراست في الجنوب الشرقي وتتألف من قبائل التيتوق وكيل آغلا وكل أغري وتتحرك في حيزها بين الحدود الحالية لمالي والنيجر وسلطنة الأزقر[3].

هذه السلطنات قسمت وفق أساس قبلي عرقي وجغرافي طبيعي، حيث يطبق فيها النظام قبلي وفق عدة مناصب وهي من القمة إلى القاعدة تصنف كما يلي:

---

[1]- محمد سعيد القشاط: **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق ص 39.

[2]- نفسه، ص 39.

[3]- نفسه، ص 40. ينظر: الملحق رقم 6، ص 102.

1- الامنوكال (السلطان):

وهو بمنصب الرئيس الآمر الناهي في السلطنة وهذا المنصب متوارث بين أبناء الأخت[1] وهو على خلاف القبائل الأخرى عند العرب التي يجري فيها توارث السلطة بين أبناء وأخوة السلطان، ويخضع ها المنصب لمعايير الفروسية وحسن الخلق والنبل والفقه في أمور الدين، كما يختار من أقوى القبائل المشكلة لهذا الإتحاد القبلي[2].

2- شيخ القبيلة (أمغار):

بمثابة نائب للأمنوكال في قبيلته، فيتولى فض النزاعات وتسير أمور القبلة الأمنية، ويمثلها في اجتماعات السلطنة ويزداد نفوذ هذا الشيخ بقوة قبيلته.

3- الإمام:

وهو منصب مستحدث بينهم بعد الإسلام فتقلد الإمام بذلك دور الزعيم الروحي ودور المعلم الذي يلقى التبجيل والكلمة المسموعة، لذلك كان رجال السنوسية يسيطرون عليهم ويزجرونهم عن عادات السلب والنهب.

4- المجلس العام (المجلس الاتحادي):

يتألف من مجموع شيوخ القبائل المكونة للسلطنة ودوراته نادرة لإعلان الحرب أو حلول السلام أو لطواريء الأمور، كما من صلاحياته خلع السلطان إن ظهر منه ما يستحق الخلع ليعلن سلطان جديد[3].

---

[1]- وحول هذه النقطة المثيرة للجدل حول توريث المرأة للمكانة السياسية والاجتماعية، هناك من يرد ذلك إلى أن دم السلطان يجري في أبناء أخته، أما أبناؤه فيمكن أن يكون تعرض لخيانة من زوجته، هذا الاتهام الغير مبرر يمكن الرد عليه انه من غير المعقول أن امرأة تبوأت مكانة مثلما تحظى به عند المجتمع التارقي أن تتهم اتهام سافر مثل هذا وهي تختار من قبيلة ملكية، وإنما هو عرف درجوا عليه منذ القدم . ينظر: غوتلوب آدولف كراوزه: المصدر السابق، ص 154.

[2]- اكناته ولد النقره: المرجع السابق، ص 63.

[3]- نفسه: ص ص 63-64.

2- أهم شخصيات التوارق:

ظهر في هاتين السلطنتين شخصيات بارزة كان لها تأثيرها في شتى المجالات السياسية والأمنية وأورد المؤلف بعضا منهم وهذه الأسماء تختلف في كتابة بعض الحروف من مرجع لآخر ويقول الرحالة (واول توارق ازقر وهقار هو (انقادازن) ابن اخت (نخنوخن) وهو حاليا رئيس جميع التوارق والثاني هو (تكروب) الذي كلمته مسوعة في القبائل ويعتبر وزيرا، ثم يأتي اثر ذلك (مولاي) ويتمتع بنفس شهرة (انقادازن)، وسي (محمد بن نخنوخن) ابن الملك السابق، و (فنيط بن موسى)...)[1].

وينسب الحشائشي جميع أعمال السرقة والنهب إلى قبيلة الفوغاس ورئيسها بوفنيط الذي كانت جميع هذه الممارسات تتم تحت إشرافه وبتدبير منه وتحت موافقته، كما أشتهر في قبائل الهقار شخصية تدعى خراجي، وعليه وجب إعطاء لمحة على أهم هذه الشخصيات وأهم الأحداث التي عايشتها[2].

1- السلطان أخنوخن أحد أمنوكال توارق الأزجر المشهورين تولى الحكم بعد خاله محي الدين اق ابن تللميماك وتوفي 1886م، هذا الامنوكال تعهد بحماية الكثير من الرحالة الأجانب، من أهم الأحداث في عهده عقد إتفاقية غدامس 1862 وحرب توارق الأزجر والهقار وخلفه من بعده ابن أخته الأمنوكال انقدازن [3].

2- الحاج عثمان وهو من الشخصيات التي لم يتعرض لها المؤلف لكنه قام بدور بارز فكان بمثابة المفاوض بين سلاطين الأزجر والفرنسيين في عهدي اخنوخن وانقدازن، وكانت له زيارة إلى فرنسا قابل فيها ملكها بونابرت[4].

---

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 152.

[2]- نفسه، ص 153.

[3]- عبد الرحمان تشايجي: المرجع السابق، ص 124.

[4]- محمد سعيد القشاط: **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص 240.

3- اق كرجي وهو شخصية عرفت بالمكر والدهاء في الحرب والحيلة في غارات السلب على القبائل والمداشر فحيكت حوله الكثير من الأساطير، وكان معاديا للوجود العثماني، وفي زيارته لغات وجد بها مدفعا فنادى فيهم (يامعشر اعيان ازقر وهقار، اعلموا انه مادام فيكم هذا الحديد الخشين لا راحة لكم في هذه الديار والسلام)[1]، وكان له دور في مقاومة الفرنسيين الغزاة في الهقار، حيث تمكن من القضاء على بعض المستكشفين الذين وقعوا تحت قبضته، إلا أن تخاذل السلاطين بعده مع الاستعمار الفرنسي تحت ظروف القهر سلموا بلادهم وأمضوا معه الاتفاقيات وتواطؤا في القضاء على المقاومة ومنهم موسى اق اخموك وباي اق اخموك[2].

3- التوجه السياسي للتوارق:

كان التوارق على درجة من اليقظة والوعي السياسي، وأدركوا أن وراء الرحالة الأوربيين أهدافا سرية تتمثل في التجسس حولهم من حيث قوتهم وإحصاء لعددهم، ودراسة جغرافية بلادهم، وذلك لخدمة التوسع الاستعماري وإخضاعهم للاحتلال، لذلك كان كل رحالة أوروبي محل شك بينهم ولو كان تحت حماية أحد شيوخهم، وفي تلك الحقبة التي اتسمت بالتنافس حول الصحراء فقد كان للجنود العثمانيين دور في توعية التوارق وتحريضهم وبث الدعاية بينهم ضد الأجانب بغات، ورغم هذا فهم لا يعترفون بسلطة العثمانيين على مدينتهم غات وتتطور هذا الموقف مع تغير المعطيات [3].

رفض التوارق كل الأنظمة السياسية فهم لا يعترفون إلا بسلطتهم، حتى أنهم رفضوا الوجود العثماني وحرضوا أهل فزان للخروج عن الولاء العثماني وشهدت سنة 1872م عدة أحداث، مما أضطر الإدارة العثمانية بطرابلس لإرسال جيش قوامه 300 جندي لإخضاع

---

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص ص 124- 125.

[2]- محمد سعيد القشاط: **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص 242.

[3]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 147.

المنطقة، وكان التوارق دائما وراء إحداث جو من الاضطرابات التي كانت تثار نواحي فزان وغدامس، مخافة الامتداد العثماني لأراضيهم[1].

4- حرب التوارق ودخول غات تحت حكم العثمانيين:

كان الإشراف على حماية القوافل التجارية كثيرا ما يسبب المشاكل حتى بين التوارق أنفسهم، فتزهق الأرواح وتسيل الدماء، فكانت عوائد هذه الحماية تعود إلى السلطان الأزجري أخنوخن الذي يقسمها على أقربائه الذين حملت منهم الغيرة ابن أخيه المدعو جبور الذي لم ينل حصته لذا طلب مساندة والي طرابلس لكن هذا الأخير لم يبد حيال الأمر أي شيء، فعمد جبور وأبناؤه إلى التعرض إلى قافلة غدامسية تحت حماية أخنوخن، فما كان من هذا الأخير إلا أن سجن غريمه جبور، فتعقدت الأمور حيث هدد أبناء السجين بضرب جميع القوافل التجارية ما لم يطلق سراح أبيهم فكان لهم ذالك، إلا أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد فأستنجد جبور بتوارق الهقار التي لبى شيخها النداء، فهاجموا غات وصدرت ممتلكات الأزجريين الذين ما كان منهم إلا طلب النجدة من الحامية العثمانية بفزان التي أرسلت المدد إلى أخنوخن شرط خضوع غات للحكم العثماني وذلك سنة 1874م، واستمرت الحرب على مراحل حتى سنة 1877م عندما تم الصلح بين أهيتاغل زعيم توارق الهقار وجبور من جهة وأخنوخن أمنوكال الأزجريين من جهة، ومن نتيجة هذه الحرب دخول غات وتوارق الأزجر تحت الحكم العثماني، وخرجت توارق الهقار في ثوب المنتصر[2].

5- ثورة التوارق على الحامية العثمانية بغات:

لم يستمر ولاء التوارق للحكام الجدد لبلادهم طويلا، فقد فرض عليهم حاكمها الجديد الضاوي بن الحاج الأمين الصديق الأنصاري بقوة عدله وقوة الحامية العسكرية، وقف السرقة والسلب والإغارة على القوافل التجارية بل ونفى زعماءهم المتسببين في هذه الأعمال إلى مرزق،

---

[1]- شارل فيرو: المصدر السابق، ص 506.

[2]- عبد الرحمان تشايجي: المرجع السابق، ص ص 84-86.

وهو ما أثار غضب التوارق فبدأ العمل والتخطيط للقضاء على جند العثمانيين وقادتهم، فقتلوا جل من كان في الحامية وفر الناجون إلى مرزق[1].

6- موقف توارق الهقار من التوسع الفرنسي:

رفض التوارق التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية منذ أول وهلة وطئت فيها أقدامهم الصحراء بدءا بمعركة 1881م التي وقعت بالغرب من وادي إن هاون بواحة تمنراست بين كتيبة فرنسية وأمنوكال الهقار أهيتاغل آق محمد بسكة وكانت نهايتها بدحر الفرنسيين الذين خلفوا وراءهم ضابطا قتيلا برتبة عقيد، وكانت فرنسا كل مرة تحاول التوغل أحيانا من الغرب وأخرى من الشرق في معارك متفرقة أشهرها معركة تيت 1902م التي مهدت للصلح مع الفرنسيين وخلفت المعركة مآساة راح ضحيتها 71 مقاتلا من التوارق[2].

كماعرفت منطقة التاسيلي مقاومة شرسة تولاها أحد أبطالها وهو الشيخ آمود بن المختار[3]، فحمل راية الجهاد ضد الفرنسيين منذ سنة 1881م وشارك في معركة تيت المذكورة إلى جانب قادة الهقار ،ورفض الصلح المبرم مع فرنسا 21 جانفي 1904م، وعزم على مواصلة الكفاح وقال قولته الشهيرة (لن أضع يدي في يد الكفار لأنني أقسمت بالله ألا أنظر إليهم إلا بالقتال)[4].

إن هذه المعارك استمرت على فترات متقطعة في سنوات 1908 و 1909م أين تمكنت فرنسا من دخول واحة جانت، فاحتمى الثوار بإخوانهم في طرابلس الغرب بل وساندوهم في حربهم ضد الغزاة الإيطاليين تحت لواء الطريقة السنوسية التي تزعمت الجهاد في جنوب البلاد،

---

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 110.

[2]- عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 102.

[3]- ولد بمنطقة جانت 1858م، وتنقل بين عين صالح وتمنراست فتعلم شيئا من علوم الدين واللغة العربية وهو ينتمي إلى قبيلة إمانن، وتوفي في أوباري بليبيا سنة 1826م بعد أن انضم إلى الجهاد ضد ايطاليا. ينظر: نفسه: ص 103. كذلك، محمد سعيد القشاط: **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص 240.

[4]- عبدالسلام بوشارب: نفسه، ص 103.

كما قدمت الدعم لآمود من أجل كسر شوكة الفرنسيين فكان الصدام من جديد سنة 1913م حيث تقهقرت القوات الفرنسية وتراجعت إلى الهقار لفترة وجيزة[1]، وفي سنة 1916 نظمت حملة من التراب الليبي بقيادة آمود في رجال من العرب والتوارق جلهم من ليبيا، واستطاعت هذه الحملة أن تحرر جانت من قبضة الفرنسيين وتم أسر 440 جنديا سنغاليا يتبعون الجيش الفرنسي، وتم خلالها القضاء على المبشر الفرنسي شارل دي فوكو الذي عمل على طمس معالم الدين الإسلامي بين التوارق[2].

عملت فرنسا بكل قوة لإعادة مدينة جانت ومنذ سنة 1918م اتجهت إلى استخدام كل أنواع الترهيب والجزر بحق الأهالي وتشريدهم، فما كان من الشيخ آمود إلا أن وقع الصلح لحقن دماء شعبه وما حز في نفسه وقوف الكثير من أبناء منطقته إلى صفوف العدو، فكانوا خير سند له وهو ما اثر في الثورة لعلم الخونة بالطبيعة الصحراوية[3].

هذا الصراع نجده قد أثر على التوارق حيث فضلوا الحكم العثماني الإسلامي، وأرسلوا رسائل استغاثة لهم يرجون فيها الحماية من الاستعمار الفرنسي، كما كانت لهم اتصالات بالإدارة العثمانية في غدامس يخبرونهم بكل شاردة وواردة عن الجواسيس والرحالة الفرنسيين الذين يغدون إلى بلادهم[4].

إن كان هذا حال هذه القبائل في تلك الفترة لم يعرف الأمن والاستقرار، فإنها إلى جانب ذلك كانت في حروب مستمرة ومن كل الاتجاهات مع القبائل المجاورة خاصة قبائل التبو التي هي في حرب مستمرة مع توارق الأزجر التي كلفت التوارق إحدى حروبهم معها مابين سنتي 1887 و1888م ما يقرب من 700 محارب، وفي سنة 1894م تعرض قبائل التوارق القاطنة حول واحة غدامس إلى هجوم شرس من طرف عرب فزان استنجدوا خلالها بالدولة العلية

---

[1]– عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 102–103.

[2]– محمد سعيد القشاط: **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص 200.

[3]– عبد السلام بوشارب: نفسه، ص 104.

[4]– ينظر: ملحق رقم 7، ص103.

وحاولت فرنسا اللعب على هذا الوتر لكسب ود التوارق، في حين نجد توارق الهقار لم يهدأ لهم بال أيضا مع جيرانهم من سكان توات، وقد كان سكان الجنوب التونسي وحتى الجزائريين في حروب مع التوارق بسبب تعرضهم لقوافلهم التجارية[1].

7- سلاح التوارق:

أسلحة التوارق بسيطة وبدائية حيث كانوا يتسلحون بخناجر ذات مقابض تربط في الذراع الأيمن والرماح الطويلة التي تكون رؤوسها على شكل نصل شبيه بالصنارة وهي من الحديد وهم يقاتلون من على ظهور مهاريهم (إبلهم) التي أعطتهم قوة مرعبة حيث يحمل فوقها المحارب سلاحه بعد أن وضعه في أكياس من جلد المعز، ويكون قد شد سرجه فوق راحلته ويضع سيفه أمامه ويحتفظ برماحه على جانبه، فبإمكانهم الهجوم والاختفاء في فيافي الصحراء ، قبل أن تنشر بينهم الأسلحة النارية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي (19م)، التي أفقدتهم ميزاتهم بخفة الحركة وسرعة المباغتة والانسحاب، التي رأوا فيها سلاحا بغيضا من الأوروبيين لزرع الفتنة بينهم وذلك لجهلهم باستعماله [2].

عرف التوارق بالشجاعة والوفاء بالوعد ولهم نظرة احتقار لاستعمال البندقية وغيرها من الأسلحة الحديثة وأنها ليست من الفروسية بشيء، وإنما هي سلاح المرء الخائف الخائن وهي ليست بمعيار للقوة فحتى المرأة يسهل عليها بها قتل أشد الرجال، لذلك فهم لا يعترفون إلا بالسيف وحده ومجابهته بصدورهم، فهم لا يطعنون عدوهم من خلفه، ولا يلقون بسهامهم المسمومة في نحور أعدائهم ولهم في ذلك مبادئهم[3].

---

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 153. كذلك، عبد الرحمان تشايجي: المرجع السابق، ص 149.

[2]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، نفسه، ص ص 142-143.

[3]- عمر الأنصاري: المرجع السابق، ص 48.

إلا أن الحشائشي يفند كل الروايات والأساطير عن شجاعة التوارق، ويصفهم بالجبن والاستسلام وهم سيئو التسليح وقليلو العدد لا يتجاوزون 9 آلاف ، ومن السهل على القوات الفرنسية وبأقل عدد ممكن إخضاع هذه القبائل، حيث يجب على هذه القوات الاستقرار حول غدامس وغات لقطع طريق العودة على التوارق، بل ويرى أنه ليس من سبيل غير ذلك[1]، ونعجب من قوله هذا أم أنه لم يسمع ببطولات توارق الهقار، ومعاناة التبو.

ثالثا-الجانب الديني والثقافي:

1- الحياة الدينية:

انتشر الإسلام بين التوارق منذ وقت مبكر، فقد تمكن المرابطون من توحيد بلاد المغرب وربطها بالصحراء وشمال بلاد السودان، فقام من بينهم الدعاة إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية بين القبائل البدوية وجمع كلمتها حول التوحيد، ولعب أمراؤها دورا هاما في نشر الإسلام بتلك الربوع حتى دانت ملوك السودان لمؤسسها الأمير بنو لوثان[2]، وتلاه من بعده أحفاده الذين تفرق أمرهم إلى أن تولى زمام أمرهم يحي بن إبراهيم الكندالي، وعملت هذه الدولة على نشر المذهب المالكي الذي دان به المرابطون جميعا بين التوارق[3].

وتأثر التوارق بعادات القوافل التجارية التي كانت تجوب بلادهم من الشمال إلى الجنوب والعكس فرأوا منهم تعاليم الإسلام السمحة، هذا من جانب، ومن جانب آخر كان لاحتكاكهم ببعض القبائل المجاورة أو حتى المهاجرة بحدود بلادهم، ولعبت الهجرة الهلالية دورا هاما في تعريب أعداد من قبائل البربر يرجع لها الفضل في تحفيظ القرآن وعلومه[4].

---

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص 155.

[2]- وتذكره بعض المراجع باسم يرلونان، وذكر ابن أبي الدينار أن الأمير الأول للمرابطين هو تيوليان يرلونان وتوفي سنة 22هـ/831 م، وعرف بالقوة والصلاح وكان في جيش قوامه مئة ألف رجل. ينظر: دريد عبد القادر نوري: **تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء**، ط1، مطابع جامعة الموصل، العراق، 1985م، ص 87.

[3]- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 119.

[4]- عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص ص 87-88.

رغم انتشار الإسلام في بلادهم يبقى التوارق يجهلون أكثر أحكام هذه الشريعة الإسلامية فلا يلتزمون بالواجبات كالصوم والوضوء بحجة أنهم في سفر دائم، رغم ذلك يحيون الشعائر الدينية كعيد الأضحى والمولد النبوي الشريف ورأس السنة الهجرية، ولهم تقبل واحترام لرجال الطريقة السنوسية وشيوخها ولحملة العلم، رغم أن الجهل منتشر بينهم لقلة اهتمامهم بتعلم القراءة والكتابة[1].

2- اللغة:

مثلت لغة التوارق الميزة الخاصة لهم ويطلق عليها تماشك وهي عبارة عن مصطلحات تشبه الأشكال الهندسية من دوائر وخطوط متداخلة يصعب فهمها والتعامل بها وذلك لعدم خضوعها لقواعد تضبطها كالصرف والإعراب والاشتقاق مثل سائر اللغات، وهذه اللغة تستخدم كذلك العمليات الحسابية، هذا تحليل المؤلف لهذه اللغة[2].

هذه اللغة التارقية يطلق عليها أيضا "التاماشاق" وحروفها تسمى "التافيناغ" التي تكتب وفق ما يحلوا للكاتب فبإمكانه كتابتها من اليسار إلى اليمين ومن الأعلى إلى الأسفل أو العكس صحيح، ولكن الطريقة الأسهل والأكثر تداولا وشيوعا هي من البداية من اليمين إلى اليسار مثل اللغة العربية، ولو أن الباحث محمد سعيد القشاط يرى أن اعتماد أسلوب الكتابة في كل الاتجاهات يعتبر كنوع من التشفير للرسائل المهمة لكي لا يتم معرفة فحوى هذه الرسائل حيث يستدرك ذلك وقتا طويلا لفك هذه الرموز ويعتبر التوارق من الشعوب الإفريقية القليلة التي حافظت على أبجديتها الخالصة[3].

---

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب**، المصدر السابق، ص 120. كذلك، الطاهر عبد الجليل: المرجع السابق، ص 103.

[2]- محمد بن عثمان الحشائشي: **الرحلة الصحراوية**، المصدر السابق، ص ص 142، 152.

[3]- HENRI DUVEYRIER, OP.CIT, p 389. المرجع **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، كذلك، محمد سعيد القشاط: السابق، ص ص،30،34.

هناك تشابه بين بعض حروف التافيناغ والحروف العربية سواء في الرسم أو حتى في النطق وهو ما يرجح رجوعها إلى الأبجدية العربية والكتابة السامية القديمة، كما أنها تشترك مع العربية في استخدام أحرف " أنيت" ومثال ذلك فعل " أطس" الذي يعني ينام يصرف كما يلي، أطسنيغ تعني أنا نمت، تطد تعني أنت نمت، نطس تعني نحن نمنا، يطس تعنـــي هو نام، كما تستخدم النون للربط بين الضمائر كما هو الحال في اللغة العربية[1].

هذا من ناحية القواعد والصرف ومن ناحية الكلمات كذلك نجد الكثير من الكلمات ذات أصول عربية أو ترجع في معانيها إلى أصول عربية مثل أخام وتعني الخيمة وأخلخال وتدل على الخلخال بالعربية، آمان وتعني الماء، أقلموست وهي القلنسوة، تامطوث وهي المرأة وهذا الإسم مأخوذ من الطمث وهو الحيض، وهذا يدل على التقارب بين اللغتين[2].

ورأى التوارق في لغتهم الشخصية والهوية التي يجب التمسك بها عبر مرور العصور، وكانت المرأة هي التي تكفلت بتعليم أولادها هذه اللغة، لأن الرجال كانوا كثيري السفر وقلة مكوثهم بالبيت لتربية أبنائهم لذلك كانت هذه المهمة منوطة بالمرأة[3].

3-التعليم:

اقتصرت مهمة التعليم على الزوايا وبعض الكتاتيب التي تتبع الخيام حيث تخصص لها بعض الأوقاف من ماشية وحبوب، ويتكفل الأهالي بمعاش هذا المعلم الذي يسهر على تعليم الأولاد لغة القرآن، وشيئا من التفسير ومنظومات النحو والصرف في المرحلة الأولى، وفي المرحلة الثانية تدرس فيها الموسوعات والمتون الفقهية ويرجع الفضل في هذا لزوايا توات ومكتبات الشيوخ، أما عن التراث الأدبي فإنه لا يوجد آثار مكتوبة، وأكثر المتداول بينهم شفهي

---

[1]- عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص ص 17-18. ينظر الملحقين رقم 8 و9، ص ص 104، 105 .

[2]- عبد السلام بوشارب: نفسه، ص18.

[3]- HENRI DUVEYRIER, OP.CIT, p 388.

كالقصص وبعض القصائد الشعرية والنثرية التي تمجد البطولات، وبعض الأساطير التي تتحدث عن الجن[1].

4-الفنون عند التوارق:

أضفى هذا الفن طابعا خاصا على التوارق في مناسباتهم واحتفالاتهم فهم شعب يحب الموسيقى والرقص والغناء، فهم يحيون لياليهم بهذه الفنون، والمؤلف لم يول ذلك أهمية ربما لعدم مصادفته لهذه الاحتفالات وذلك لقلة مكوثه بينهم.

أ- الموسيقى:

يطلق التوارق على كل لون من الموسيقى إسم الآلة الموسيقية المستعملة، التي يتفننون في صنعها بأنفسهم، ومن أشهر هذه الآلات إمزاد التي يرافقها الغناء والطرب في مواضيع مختلفة كالحب وشحذ الهمم في حالة الحرب بشكل يؤثر على القلوب وتتأثر الرجال به، ويأتي بعد إمزاد آلة التندي وتصنع من الخشب وجلد الماعز وتعزف عليها النساء وتصحب بالغناء الذي لا يخلو من الأساطير والرقص المختلط بين الرجال والنساء، وهو فرصة للتعارف بين الجنسين وتقام سهرات التندي على عدة أشكال، أحيانا سهرات مختلطة، وفي سهرات أخرى يجلس النساء لوحدهن والرجال حولهم فوق الإبل التي يرقصونها بحركات تنسجم ونغمة التندي[2].

ب-الرقص:

وهو عدة أنواع وله أهداف متنوعة فرقصة "شروا" التي تقام بلباس خاص تهدف إلى بناء الجسم وتعلم استخدام وسائل الدفاع عن النفس وفنيات الحركة والخفة وهي تشبه المبارزة وتقام

---

[1]- عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 91. كذلك، محمد سعيد القشاط: **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، المرجع السابق، ص132.

[2]- عبد السلام بوشارب: نفسه، ص ص 65-67. ينظر ملحق رقم 10، ص 106.

تحت إشراف من له خبرة، ولعل من أشهر رقصاتهم " أسوات" التي يمارسها الشباب وصوت غناء النساء يعلو في الأفق بلا موسيقى، ولهذه الرقصة حركات منسجمة بين الشباب أساسها الدوران حول المغنية الرئيسية للسهرة[1].

وكحوصلة لهذا الفصل نقول أن التوارق لهم من المميزات الاجتماعية التي انفردوا بها دون غيرهم ومن أبزها اللثام، و مجتمعهم القبلي الذي يجسده النظام الطبقي، ومن الجانب السياسي فهم يسمون أنفسهم بالمشاك الأحرار فلم يرضوا أي نظام سياسي إلا أنهم في الأخير فضلوا الميل للنظام العثماني الإسلامي، فهم مسلمون بطبعهم ولو أنه لهم شيء من عدم الاهتمام بكافة قواعده التي ظهرت عليهم في عاداتهم الثقافية.

[1]– عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص70.

الخاتمـــة

محمد الحشائشي أحد المؤلفين التونسيين الذين تأثروا بالاستعمار الفرنسي فسمح لهم بالتقرب منه لاستغلالهم في خدمة مشاريعه، ساعد ذلك محمد الحشائشي على تنظيم رحلة إلى صحراء طرابلس دونها في كتابين: "الرحلة الصحراوية" و"جلاء الكرب"، وهما من المؤلفات العربية القليلة التي عالجت موضوع التوارق في تلك الفترة، حيث نستخلص من خلال هذه الدراسة مجموعة من النقاط:

– يجمع أغلب المؤرخين على إرجاع أصول التوارق إلى صنهاجة وفروعها رغم أن المؤرخين الأوربيين يرونهم من الشعوب القادمة من وراء البحر.

– يتوزع توارق الشمال في نطاق جغرافي واسع وسط الصحراء المترامية الأطراف.

– يتميز هذا الموقع بقلة الإمكانيات الطبيعية من موارد وتربة خصبة.

– تتميز هذه الصحراء بمناخ صحراوي جاف، أرغم التوارق على التكيف معه.

– مكن الموقع الاستراتيجي التوارق من ممارسة عدة نشطات اقتصادية، جعلت منهم المالك الحقيقي لتلك الصحراء والمتحكم في ربوعها.

– تمثل النشاط الأساسي للتوارق في كراء وسائل النقل والسيطرة على طرق القوافل التجارية وحماية التجار وسلعهم.

– يمكن القول إن التوارق هم سكان الصحراء الأصليين اعتنقوا الإسلام الذي دخل شمال أفريقيا بصدق وإخلاص وشكل متغيراً مهماً في حياتهم.

– رغم دخولهم الإسلام لم يتخلوا عن أعرافهم وتقاليدهم وطقوسهم، وإنما امتزجت بما يتناسب مع البيئة الصحراوية الصارمة.

– أصبحت تلك الأعراف والتقاليد سمات اجتماعية للطوارق دون غيرهم من الأمم التي سكنت الصحراء.

– راهنت فرنسا من خلال رحلة الحشائشي على كسب ود التوارق لتحويل طرق التجارة العابرة من السودان إلى طرابلس، إلى مستعمراتها في الجزائر وتونس.

– كشفت لنا هذه الدراسة موقف التوارق من التجاذبات الحاصلة بين ثلاثة أطراف الدولة العثمانية الحاكم الفعلي إن لم نقل الشرعي لطرابلس وانجلترا وفرنسا اللتين تسعيان لبسط يديهما على المنطقة كموقع نفوذ استراتيجي.

– كل هذا الصراع عجل بدخول توارق الأزجر تحت ظروف أخرى منها السنوسية وأعيان غات وغدامس تحت الحكم العثماني الإسلامي رغم أن التوارق يعرف عنهم كرههم للأنظمة السياسية عدا نظامهم الوحيد المعترف به بينهم، رافضين بذلك الفرنسيين رغم إغراءاتهم ومحاولاتهم الكثيرة.

– كما اتضح لنا موقف الحشائشي الذي سعى وبكل الوسائل لإقناع فرنسا باحتلال بلاد التوارق من غدامس إلى غات بكل الوسائل، واستخدام القوة العسكرية لذلك.

– ومن الجانب الثقافي شكلت لغة التوارق إرثا حضاريا تمسك به التوارق حماية لهم من الأفول.

– أن هذه الرحلة لم تأت لفرنسا بجديد حيث سبقتها رحالات أخرى لجغرافيين، إلا أنها كشفت مدى كره التوارق للأجنبي الفرنسي وعدم إكتراثهم كثيرا بالتجارة.

إن هذه الدراسة تكشف لنا عن ظروف التوارق في الفترة الحديثة، خاصة إبان الاحتلال الإيطالي لي ليبيا وموقف التوارق من الصراع الجديد في المنطقة، وردود فعلهم من التغيرات الحاصلة في ظل هذه الأنظمة الاستعمارية.

الملاحق

ملحق رقم 1:

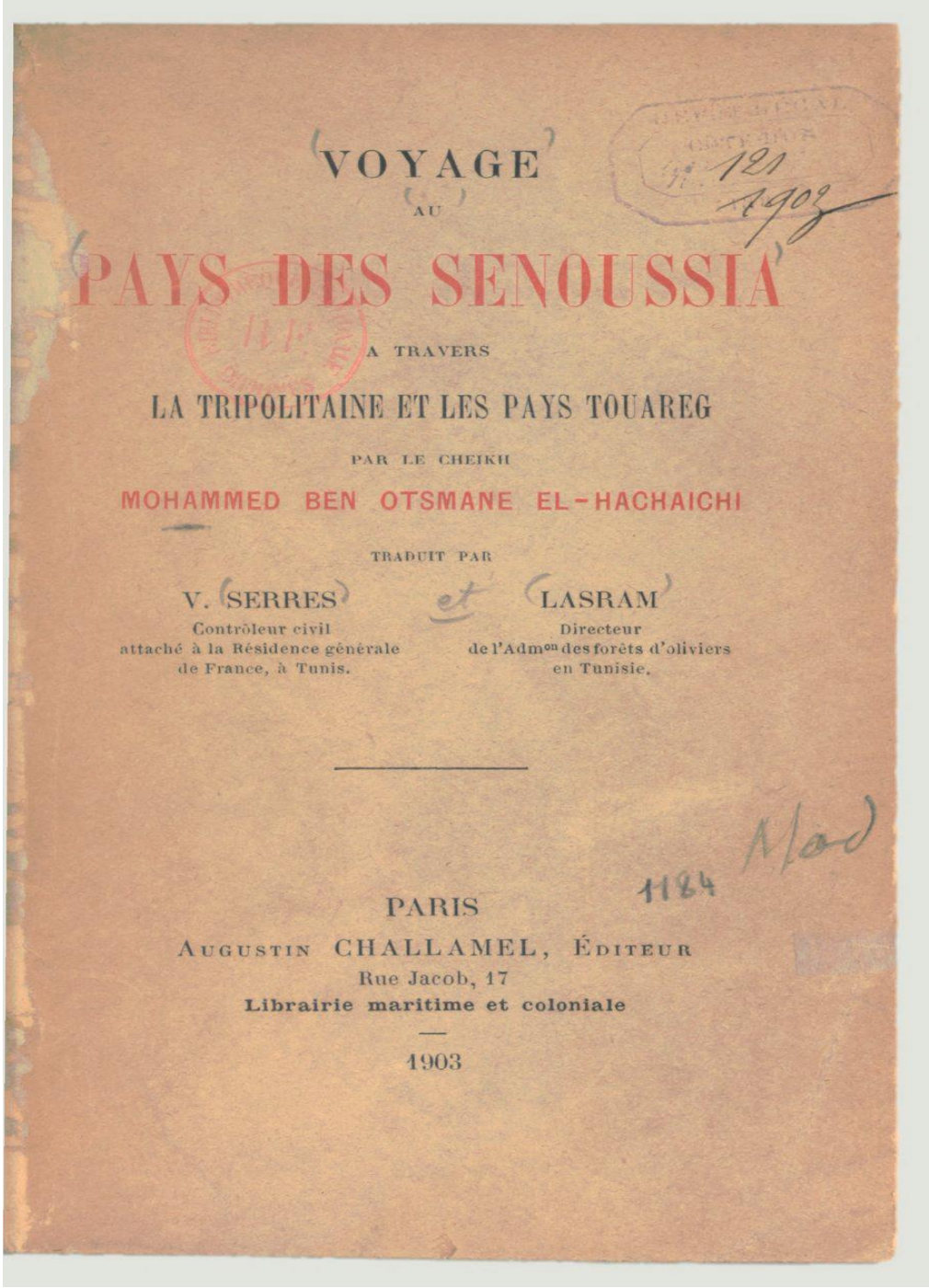

VOYAGE
AU
PAYS DES SENOUSSIA
A TRAVERS
LA TRIPOLITAINE ET LES PAYS TOUAREG
PAR LE CHEIKH
MOHAMMED BEN OTSMANE EL-HACHAICHI
TRADUIT PAR
V. SERRES
Contrôleur civil
attaché à la Résidence générale
de France, à Tunis.
et
LASRAM
Directeur
de l'Admon des forêts d'oliviers
en Tunisie.
PARIS
AUGUSTIN CHALLAMEL, ÉDITEUR
Rue Jacob, 17
Librairie maritime et coloniale
1903

واجهة النسخة الأصلية لكتاب الرحلة إلى بلاد السنوسية الذي ترجم إلى كتاب الرحلة الصحراوية[1].

1- MOHAMMED BEN OTSMANE EL- HCHAICHI: op.cit.

ملحق رقم 2:

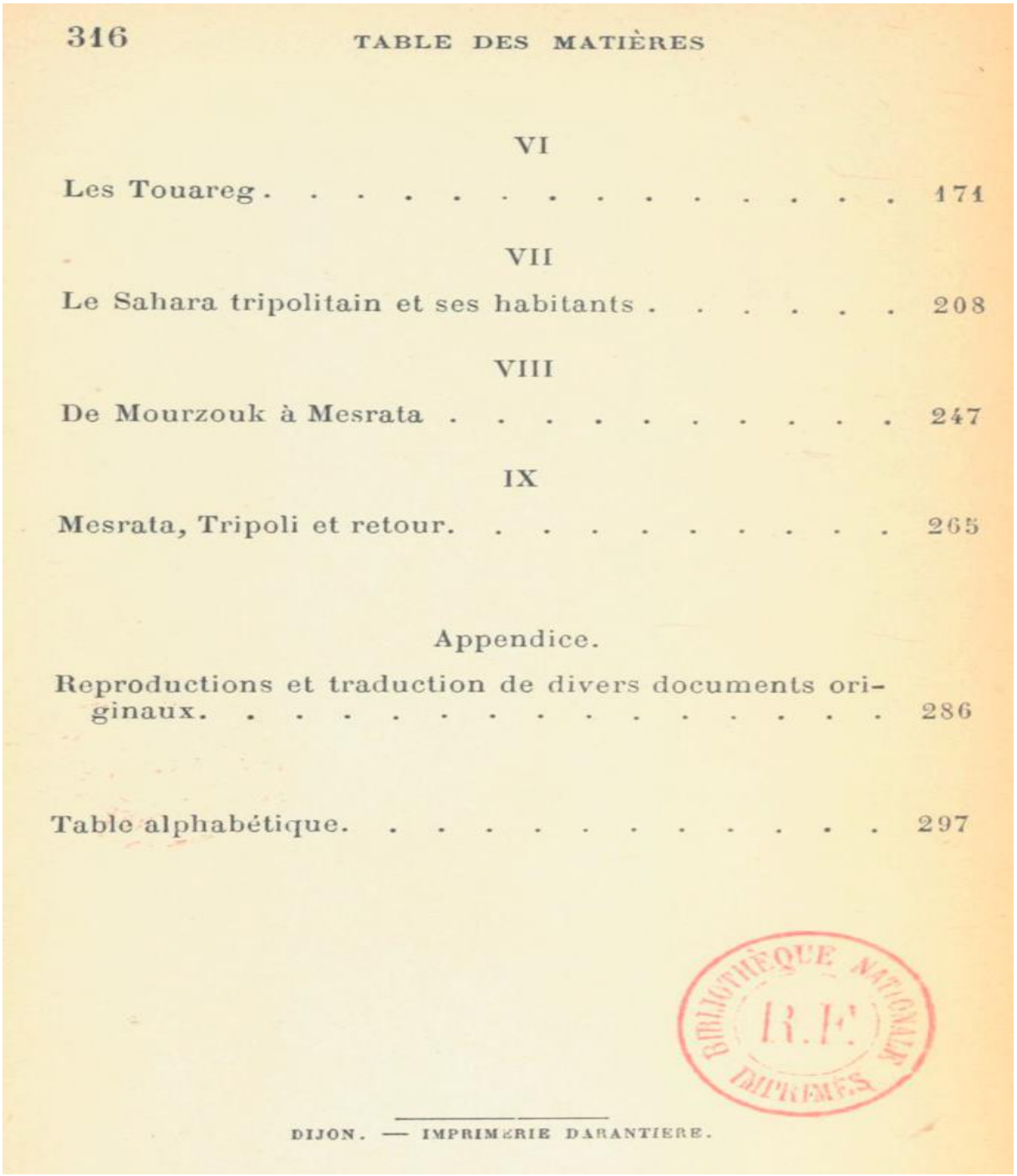

316 TABLE DES MATIÈRES

VI

Les Touareg 171

VII

Le Sahara tripolitain et ses habitants 208

VIII

De Mourzouk à Mesrata 247

IX

Mesrata, Tripoli et retour. 265

Appendice.

Reproductions et traduction de divers documents originaux. 286

Table alphabétique. 297

BIBLIOTHÈQUE NATIONALE R.F. IMPRIMÉS

DIJON. — IMPRIMERIE DARANTIERE.

الصفحة الأخيرة من النسخة االأصلية الفرنسية لكتاب الرحلة إلى بلاد السنوسية[1]

[1] – MOHAMMED BEN OTSMANE EL– HCHAICHI: op.cit, p316 .

ملحق رقم 3.

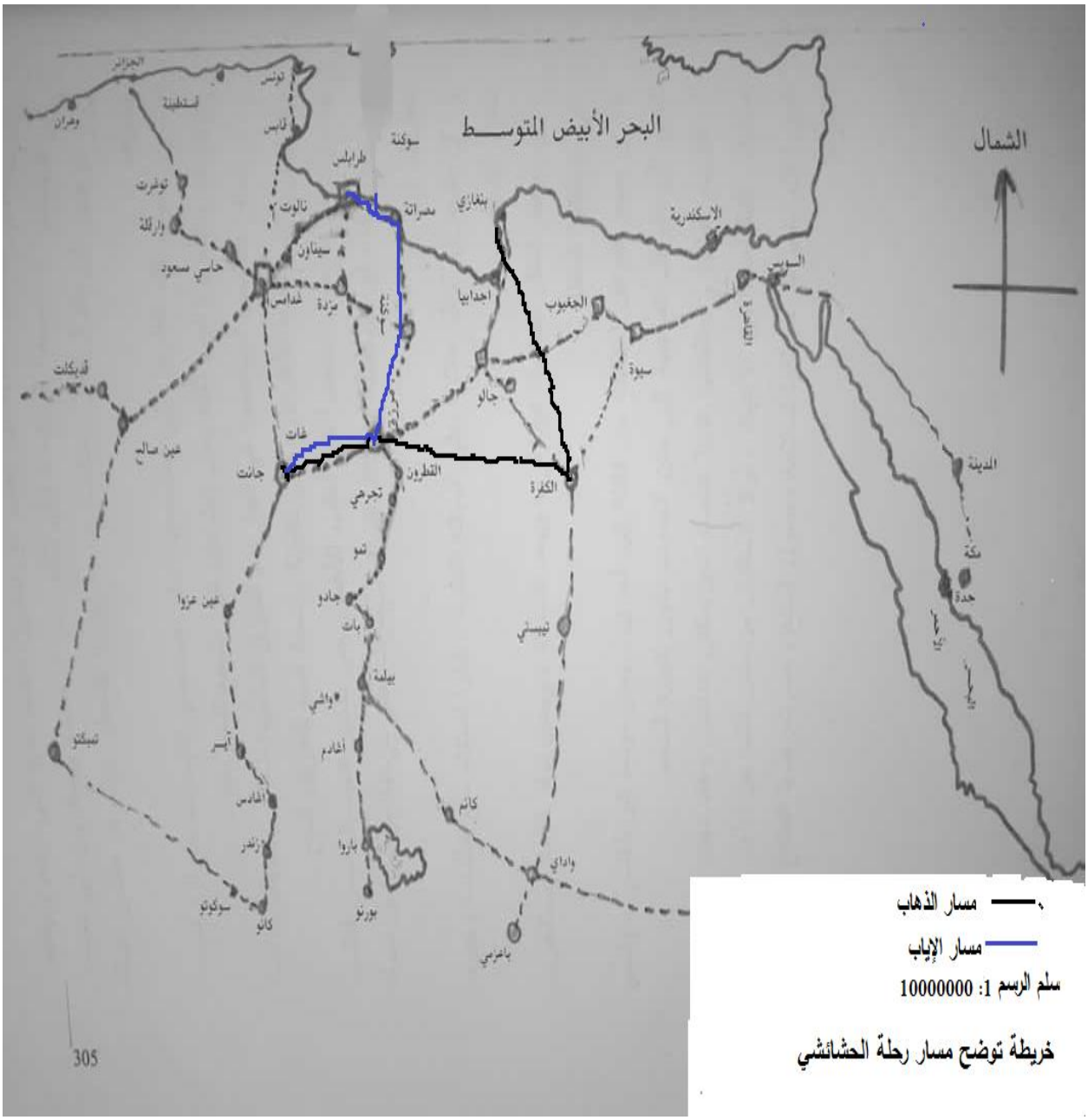

صورة لخريطة توضح طريق رحلة الحشائشي ذهابا وإيابا[1].

[1]– من عمل الطالب بالاعتماد على محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 305.

ملحق رقم 4.

صورة لتارقي يمتطي نوعه المفضل من الإبل – المهري– ويرتدي اللثام[1].

[1]– عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 75.

ملحق رقم 5.

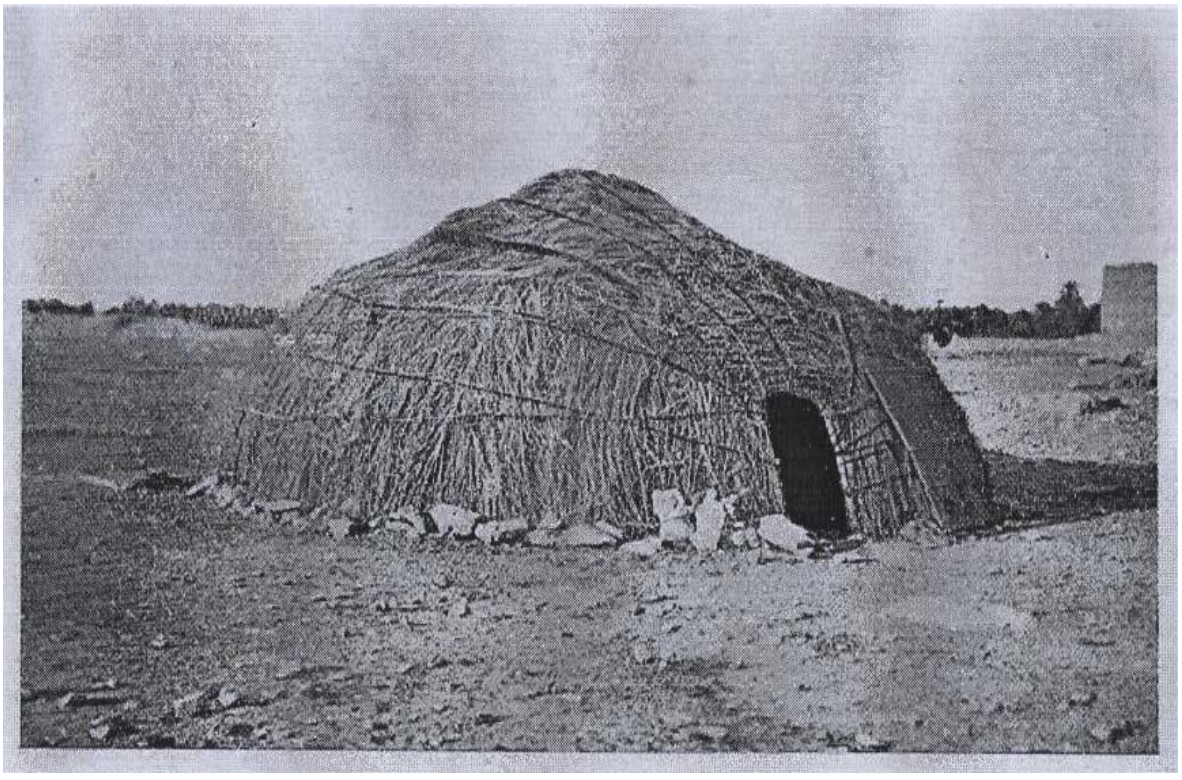

صور لمساكن التوارق [1].

[1]– المختار محمد عثمان العفيف السوري: المرجع السابق، ص 99.

ملحق رقم 6.

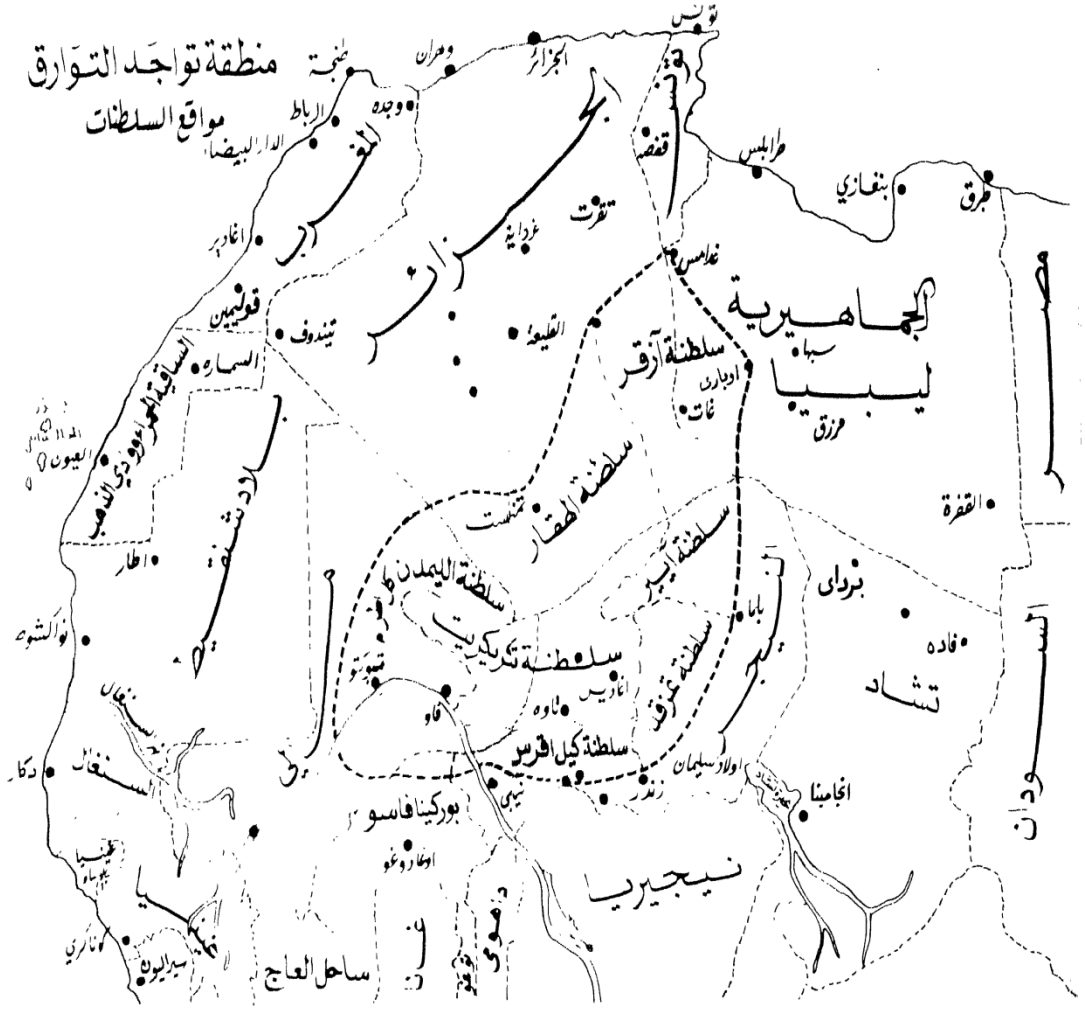

خريطة توضح مواقع سلطنات التوارق[1].

[1]– محمد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص 15.

ملحق رقم 7.

(نحن التوارق جهلاء كجمالنا. لا تهملوا رسائلكم لنا لأننا لا نعلم شيئا. نعلمكم بأن بعض الفرنسيين يأتون بلادنا مرتين أو ثلاث سنويا ويتعدون بدخولهم ملكنا ويكلمون بعض الجهلاء ولهم مطلبان ولكننا لم نقبل بهما الاول فتح طريق السودان والثاني اقامة مباني في تماسنين. وعندما يحضرون فسنعيدهم على أعقابهم بالكذب ولن نلبي لهم أي مطلب وأملنا أن نبلغكم بذلك لأن الازقر بملكها وسكانها كانت ومازالت كذلك للدولة العلية وللازقريين ملك واسع بين تماسنين وغات وهذه هي مملككم أيضا ونحن تحت طاعتكم ونعلمكم بأننا سنعيد الفرنسيين عندما يأتون. ولكن نفذت الحيل وعندما يحضرون ثانية دون ترخيص بيدهم سنقابلهم بالقوة لأنه ليس لنا أسلوب اخر في ذلك ولذلك نرجو من الحق ومنكم بأن تبلغونا رأيكم وترفعوا رايتكم سريعا في بلاد تماسنين لأنه ليس هناك طريق للفرنسيين نحو السودان الا هذا البلد ولذلك أوقفوهم وامنعوهم ولا تتركونا وحدنا، واعملوا من أجلنا ومدوا لنا يدكم كأب مشفق ..).

رسالة من التوارق بتاريخ 30 مارس 1894م، يستنجدون فيها الدولة العثمانية الممثلة في قائمقام غدامس[1].

[1]– عبد الرحمان تشايجي: المرجع السابق، 148.

ملحق رقم 8.

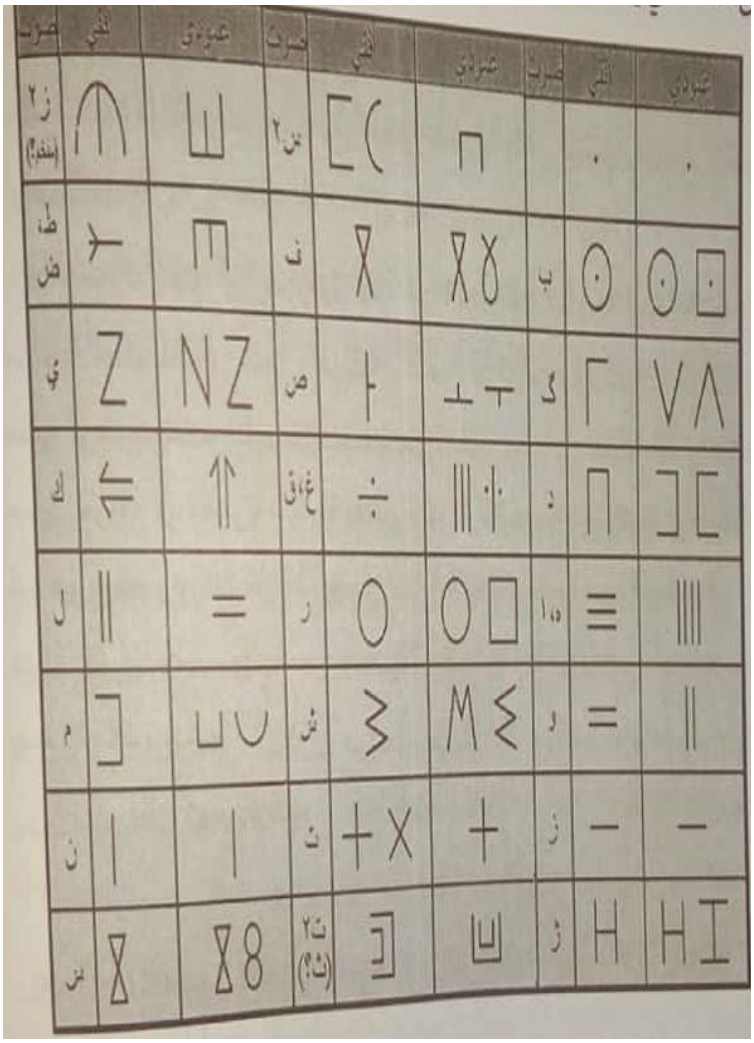

صورة توضح كيفية كتابة حروف التافيناغ أفقيا وعموديا[1].

[1]– إبراهيم العيد بشي: **تاسيلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا**، المرجع السابق، ص 54.

ملحق رقم 9.

العربية	التارقية	العربية	التارقية
أ		م	ⵎ
ب	ⴱ	ن	ⵏ
ت	ⵜ	ص	ⵚ
ث	ⵜ⵳	ض	ⴹ
ج	ⵊ-ⵣ	ع	ⵄ
ح	ⵃ	غ	ⵖ
خ	ⵅ	ف	ⴼ
د	ⴷ	ق	ⵇ
ذ	ⴹ	ش	ⵛ
ر	ⵔ	ه	ⵀ
ز	ⵣ	و	ⵡ
ط	ⵟ	ى	ⵢ
ظ	ⵠ		
ع	ⵄ		
ل	ⵍ		

جدول يوضح الحروف العربية وما يقابلها من حروف التافيناغ[1].

[1]– محمد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص 13.

ملحق رقم 10.

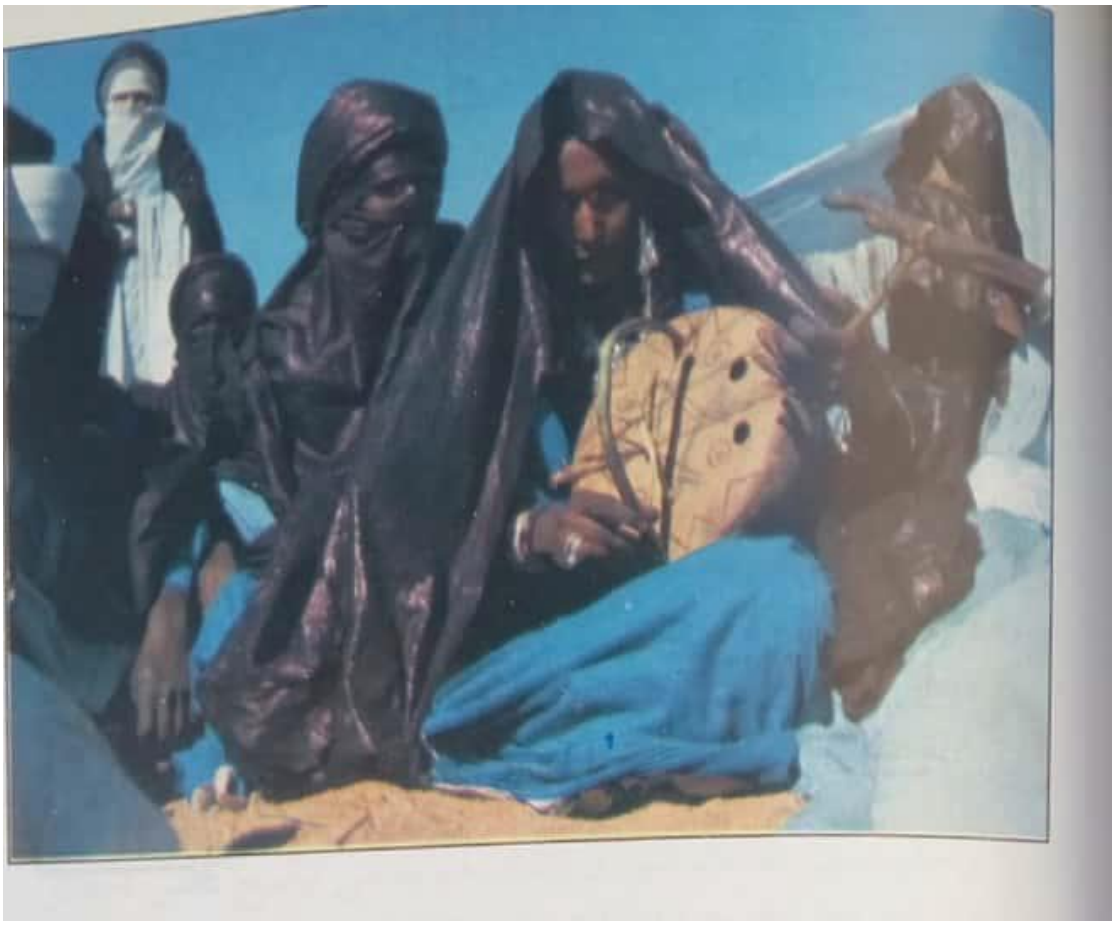

صورة لامرأة من التوارق تعزف الإمزاد[1].

[1]– عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 69.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر:

1- ابن أبي الضياف أحمد، **إتحاف اهل الزمان باخبار تونس وعهد الأمان**، مج2، ج4، ط1، تحقيق لجنة من وزارة الثقافة، تنفيذ الدار العربية للكتاب، د.ب.ط، 1999م.

2- (ـــــــــ، ـــــــــ)، **إتحاف اهل الزمان باخبار تونس وعهد الأمان**، ، مج7، ج4، ط1، تحقيق لجنة من وزارة الثقافة، تنفيذ الدار العربية للكتاب، د.ب.ط، 1999م.

3- ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تق وتح الشيخ محمد عبد المنعم العريان، ج1، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت- لبنان، 1987،.

4- ابن حوقل النصيبي أبو القاسم، **صورة الأرض**، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1996م.

5- ابن خلدون عبد الرحمان: **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6، مراجعة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت- لبنان، 2000م.

6- ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل، **التذكار فيمن ملك طرابلس وكان من الأخيار**، تح أحمد الطاهر الزاوي، ط1، دار المدار الإسلامي، طرابلس- بيروت- لبنان، 2004م.

7- ابن فضل الله العمري شهاب الدين، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ط1، تح حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، 2002م، السفر الرابع.

8- أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، تح وتق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.

9- التونسي خير الدين، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م.

10- الحشائشي محمد بن عثمان، **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895 م(جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)**، تق وتح علي مصصطفى المصراتي، ط1، دار لبنان،بيروت-لبنان، 1965م.

11-(ـــــــــ، ـــــــــ)، **الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق** ، قدم لها وعلق عليها وراجع ترجمتها محمد المرزوقي، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1988م.

12- القيرواني محمد بن ابي القاسم الرعيني، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمدية، تونس، د.س.ط.

13- حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسين**، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1990م.

14- سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، **ماء الموائد العياشي.الرحلة ليبيا- طرابلس برقة**، ط1، مركز الدلتا للطباعة، مصر، 1996م.

15- شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، تح محمد عبد الكريم الوافي، ط2، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي- ليبيا، 1994م.

16- غوتلوب آدولف كراوزه: **الدواخل الليبية**، تر عماد الدين غانم، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 1998م.

17- فريديريك هورنمان: **الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام 1797**، تع مصطفى محمد جوده، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس- ليبيا، 1968م.

18- لسان الدين الخطيب محمد، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، د.س.ط.

ثانيا- المراجع:

1- أحمد الزاوي الطاهر، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ط4، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، 2004م.

2- (ـــــــــ، ـــــــــ)، **معجم البلدان الليبية**، ط1، مكتبة النور، طرابلس- ليبيا، 1968.

3- الأنصاري عمر، **الرجال الزرق الطوارق الأسطورة والواقع**، ط1، دار الساقي، بيروت- لبنان، 2006م.

4- الزريقي جمعة محمود: **تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديما وحديثا**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا، 2003م.

5- الزمرلي الصادق: **أعلام تونسيون**، تق وتع حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1986م.

6- السويدي محمد، **بدو الطوارق بين الثبات والتغير**، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية- الجزائر، 1986.

7- القشاط محمد سعيد، **الطوارق عرب الصحراء الكبرى**، ط2، مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء، د ب ط، 1989م.

8- (ـــــــــ، ـــــــــ)، **صحراء العرب الكبرى**، ط1، دار الرواد، طرابلس-ليبيا، 1994م.

9- القصاب أحمد: **تاريخ تونس الحديث والمعاصر(1956-1881)**، تع حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986م.

10- المرعشلي يوسف: **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**، مج1، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2006م.

11- بشي إبراهيم العيد، **تاسيلي ناجر الخصائص الجغرافية والبنية الطبيعية**، ج1، ط1، منشورات الحبر، بني مسوس- الجزائر، 2008م.

12- (ـــــــــ، ـــــــــ)، **تاسيلي-ناجر تاريخ الإستقرار البشريّ في المنطقة**، ج3، ط1، منشورات الحبر، بني مسوس- الجزائر، 2099م.

13- (ـــــــــ، ـــــــــ)، **التاسيلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا**، ج4، ط1، منشورات الحبر، بني مسوس- الجزائر، 2009م.

14- بنبلغيت الشيباني، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي(1882-1859)**، تق عبد الجليل التميمي، ط1، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، صفاقس، تونس، 1995م.

15- بوشارب عبد السلام، **الهقار أمجاد وأنجاد**، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة-الجزائر، 1995م.

16- بوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها**، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

17- تشايجي عبد الرحمان، **الصراع التركي-الفرنسي في الصحراء الكبرى**، تر علي اعزازي، ط1، مركز جهاد الليبيين، ليبيا، 1982م.

18- حوتية محمد الصالح ، **توات والأزواد**، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، القبة -الجزائر، 2007م.

19- دريد عبد القادر نوري، **تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء**، ط1، مطابع جامعة الموصل، العراق، 1985م.

20- سعيدوني ناصر الدين: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1999م.

21- طريح شرف عبد العزيز: **جغرافية ليبيا**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية- مصر، 1971م.

22-عبد الجليل الطاهر: **المجتمع الليبي دراسات اجتماعية وأنتروبولوجية**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 1969م.

23- عبد الرحمان حميدة: **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ط1، دار الفكر، دمشق-سوريا، 1995م.

24- غرايب عبد الكريم محمود: **دراسات في تاريخ افريقيا العربية 1918-1957**، ط1، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1960م.

25- فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر، 2007م.

26- محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1982م،.

27- مجموعة من الباحثين: **تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر**، ط1، المجمع التونسي للآداب والفنون-بيت الحكمة-، تونس، 1993م.

28- مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، دراسة وتح عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، الرباط- المغرب، 2005م.

29- نقولا زيادة: **أعلام عرب محدثون من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1994م.

30- ولد النقره اكناته، **الطوارق من الهوية إلى القضية**، ط1، مطبعة طوب بريس الرباط، 2014م.

رابعا- الرسائل الجامعية:

1- السوري المختار عثمان محمد العفيف، **الأوضاع الإقتصادية في إقليم فزان خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (دراسة تاريخية)**، (مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور إبراهيم مياسي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2007م.

2- بتقه إبراهيم، **مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890-1920 م)**،(مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإفريقية (تاريخ وحضارة)، تحت إشراف الدكتور صابر شريف خالد، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009- 2010م.

3- بوتوقوماس حفيظة، **الحياة الإجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1117هـ/1705م-1257هـ/1835م**، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر-2- ،2010-2011م.

4- دحدي سعود، **البعد الجهادي المغربي للطريقة السنوسية(1931-1842)**، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر(أوروبا- مغرب)، تحت إشراف الدكتور إبراهيم مياسي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة ابن يوسف بن خدة ،الجزائر، 2010-2009م.

5- غميمة عبد الرزاق و قدوري علي، **الحياة الاجتماعية والثقافية في تونس من خلال مؤلف العادات والتقاليد التونسية (الهدية)**، (مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور محمد السعيد عقيب، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، 2016-2017م.

6- مايدي كمال، **علاقات تونس مع دول أوربا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782-1814م** ،(مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث)، تحت إشراف الدكتور عمار بن خروف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي -غرداية، 2012-2011م.

7- محمد عمر مروان، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1261- 1331هـ / 1835-1912م (دراسة من خلال الوثائق المحلية)**، (رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوره في التاريخ الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور عمار بن خروف، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006م.

8- مرموري حسن، **التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية**، (رسالة لنيل شهادة ماجستير)، تحت إشراف عبد الغني مغربي، دائرة علم الإجتماع، كلية علم الإجتماع، جامعة الجزائر، 2002-2001م.

9- يوسف محمد زكري، **مناخ ليبيا دراسة تطبيقية لأنماط المناخ الفسيولوجي**، (بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم)، تحت إشراف الأستاذ عنصر علاوة، كلية علوم الأرض، الجغرافيا والتهيئة العمرانية، قسم التهيئة العمرانية، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر، 2005م.

خامسا- المقالات العلمية:

1- البوعبدلي المهدي، "**لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية والحضارية والسياسية**"، **مجلة الأصالة**، عدد 72، الجزائر، أوت 1972م.

2- الراشدي فرج، "**عادات الدفن عند الجارامنت وعلاقاتها بعادات الدفن عند شعوب أخرى في شمالي إفريقيا**"، **ليبيا القديمة**، تقرير ودراسات الندوة التي نظمتها اليونسكو في باريس جانفي 1984، المطبعة الكاثوليكية ش م ل، عاريا- لبنان، 1988م.

3- السايح أحمد عبد الرحيم، "**الإستشراق ومنهج نقده**"، **حولية كلية الشريعة والعلوم الإسلامية**، جامعة قطر، العدد 10، 1992م.

4- بن موسى يوسف: **"لثام التوارق دراسة أنثروبولوجية وسوسيولوجية"**، مجلة الثقافة الشعبية، ع 41، مملكة البحرين، 2018.

5- بوعزيز يحي: **"اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه، مجلة الأصالة"**، عدد 72، الحزائر، أوت 1972م.

6- لقبال موسى: "**البتر والبرانس والمظهر الإجتماعي لسكان بلاد المغرب قبل الإسلام**"، مجلة الأصالة، عدد 24، الجزائر، مارس- أفريل 1975م.

سادسا- المصادر الأجنبية:

1- COMMANDANT REBILLT, **Les Relations commerciales DE LA TUNUSIE AVEC LE SAHARA ET LE SOUDAN**, NANCY IMPRIMERIE BERGER- LEVRAULT ET 18, RUE DESIGLACIS, 18, 1895.

2- HENRIDUVEYRIER, **LES TOUREG DU NORD**,CHALLAMEL ALNE',LIBRAIRE- E'DITETEUR, Paris.

3- MOHAMMED BEN OTSMANE EL- HCHAICHI, **VOYAGE AU PAYS DES SENOUSSIA A TRAVERS LA TRIPOLITAINE ET LES PAYS TOUAREG**, TRADUIT, V.SERRES, LASREM, AUGUSTIN CHALLAMEL, EDITEUR, PARIS, 1903.

4- ORIC BATES: **THE EASTERN LIBYNES**, MACMILLAN AND CO. LIMETED ST.MARTN'S STREET, LONDON, 1914.

سابعا- المواقع الالكترونية:

محمـــــد -المرزوقـــــي /https://ar.wikipedia.org/wiki ، تـــاريخ الإطـــلاع 2018/02/05م، الساعة 16.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
الإهداء	---
الشكر والتقدير	---
قائمة المختصرات	---
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: التعريف بالمؤلِف والمؤلَف	
أولا- التعريف بمحمد الحشائشي	10-17
ثانيا- التعريف بمؤلفي الرحلة الصحراوية وجلاء الكرب	17-28
ثالثا- مضمون رحلة محمد بن عثمان الحشائشي	28-34
الفصل الثاني- المجال البشري والجغرافي للتوارق	
أولا- المجال البشري والطبيعي للتوارق من خلال مؤلَفي الحشائشي	36-53
ثانيا الجانب الاقتصادي	53-63
ثالثا- الإهتمام الفرنسي بالصحراء وموقف توارق الشمال منه	63-68
الفصل الثالث- الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية للتوارق	
أولا- الجانب الاجتماعي	70-79
ثانيا- النظام السياسي والجانب الأمني عند التوارق	80-88
ثالثا- الجانب الديني والثقافي	88-92
الخاتمة	94-95
الملاحق	97-106
قائمة المصادر والمراجع	108-114
فهرس الموضوعات	116